

الفصل التاسع

الاتفاق على اسقاط فتاح آغا

في حدود العام ١٨٨٩ كان الشيخ محمد في قرية (بيبي) الشيروانية حين اتصل به عدد من (البه روژيين) الساخطين وقد عقدوا العزم على وضع حد لتحكم فتاح آغا واستغلاله. وتم الاتفاق على موعد الاجتماع حيث حضره الشيخ وحضر ممثلون عن انصاره عرفنا منهم (عبدالله گوج. محمدشرا. زبير درویش. داود بياني) وطرح على بساط البحث جملة من الاجراءات لاتخاذها ضد فتاح آغا. وتم اقرار خطة الا ان احد المشاركين في الاجتماع (داود بياني) الذي تظاهر بالولاء للشيخ في حين كان عينا لفتاح آغا عرج وهو في طريقه الى بيته على سيده وافضى اليه بتفاصيل الاجتماع والخطة التي اتفق عليها المجتمعون للحد من نفوذه. فارسل (فتاح آغا) يستدعي جميع الذين شاركوا في الاجتماع فادرك هو لاء ان فتاح آغا واقف على مادبروا وانه لا بد من اتخاذ احتياطاته فلم يجزء واعلى تنفيذ ماقرروه. وزاد حذر (فتاح آغا) وانكشف امر (داود بياني) للمريدين فاجتنبوه (١) ومرت فترة دعا الشيخ بعدها الى اجتماع اخر لعين الغرض. ولم يتفش خبر هذا الاجتماع هذه المرة. ثم اعلن الشيروانيون والبه روژيون تضامنهم فيما سيقدمون عليه.

يمثل هذا القرار نقطة تحول هامة في تاريخ جهاد مشيخة بارزان. لقد شعر فتاح آغا ان انصار الشيخ لم يعودوا يراجعونه لفض نزاعاتهم كما كانوا يفعلون في السابق وانما صاروا يتوجهون بها الى شيخ بارزان. كما لاحظ ايضا ان هناك تعاطفا وتكتلا بين الاهالي من مظاهره قلة الخصومات الفردية والشكاوى عنده حتى اصبح يبذله وكان ثم اجتماع على مقاطعته وتحدي سلطته بشكل سافر من جهة اخرى شعرت المشيخة بان الوقت قد حان لمساندة المضطهدين والمستغلين بصورة صريحة والا غامرت بمكانتها عندهم وفقدت احترامها. ان خوض هذا الصراع كتفا بكتف مع اولئك المستضعفين هو في الواقع جوهر رسالتها. وانه لا بد والنخالة هذه من الاحتكام الى السلاح. لقد ادرك الشيخ انه بهذا وحده يستطيع ان يطرد الولاء القبلي ويضع مكانه الولاء الروحي. وتمت تهيئة العشيرتين

١- لم يحاول الشيخ محمد ان يقتص من (داود بياني) عندما ساءت علاقته بفتاح آغا فطرده واصبح بإمكان الشيخ ان يفعل ذلك.

(شيروانى وبه رروژى) للمعركة. كان ذلك فى العام ١٨٩١ حيث قام انصار الشيخ المسلحون فجأة بالهجوم على قصر الاغا فى قرية (لاتكا) فاسرع هذا بمغادرتها الى (سبرى) ومكث فيها فترة لكن المسلحين تعقبوه وطرده من (سبرى) فانتقل الى (باز) آخر معقل له. الا ان انصار الشيخ كانوا قد عقدوا العزم على اخراجه من اراضى به رروژ فهاجموه فى (باز) وطرده منها وبهذا انتهى نفوذه فى (به رروژ) وعاد الشيخ محمد الى بارزان ظافرا.

لم تكن ظروف الدولة العثمانية وما تشكوه من متاعب ليسمح لها بان تلقى بالا على ما يحصل فى هذه الزاوية الجبلية الوعرة المنسية من كردستان البعيدة جدا عن مراكز الادارات العثمانية لاسباب كثيرة منها ان نزاعا ضيقا صغيرا مثل هذا لم يكن يهدد امن الدولة الداخلى فمثلته كثير الحدوث وهو كذلك لاعلاقة له بامن الدولة الخارجى ولا يستدعى تجريد قوة لفضه. فبالنسبة الى تلك الامبراطورية المترامية الاطراف لافرق ثم اذا استظهر شيخ صغير الشأن على اغا سلطانه لا يتعدى عددا من القرى. ولا يحتاج الى تسخير قوة عسكرية لنزاع قد يفض تلقائيا بالصلح بين المتخاصمين او باستظهار احد هما على الآخر. فى الوقت الذى كانت هذه الدولة بحاجة الى كل جندي وهى تخوض حروب البلقان المضنية الطويلة الامد. اضيف الى هذا ان الدولة العثمانية فى هذه المناطق البعيدة التى يصعب اخضاعها تقنع عادة بالسيطرة الاسمية وبجباية ما يمكنها جبايته من الضرائب تاركة الحبل على الغارب للنزاعات المحلية. تبقى هذه السلطة زماما وهى غافية او متغافية ولا تتحرك الا اذا تفاقم الامر الى الحد الذى يؤمّن بتهديد حقيقى لتلك السلطة الاسمية كاعلان عصيان مسلح بنية الانسلاخ او كمقتل مجموعة من موظفيها او طردهم من المنطقة الملتهبة او رفض استقبال محصلى الضرائب والامتناع المتتالى عن دفعها عندئذ تستيقظ السلطة من غفوتها فجأة وتامر اقرب الولاة او الحكام الى تلك المنطقة بالقيام بعمل عسكري وهذا العمل العسكري عادة لا يعدو تجريد حملة تاديبية تتحرك الى المنطقة حتى تدخلها فتقبض على عدد من السكان (معظمهم قد يكونون ابرياء) وتضرب بهم مثلا. فتحرق قرية او اثنتين من قراهم ثم تمارس اشد انواع الضغوط والاكرام لانتزاع المتأخر من الضرائب وبعض المتقدم منها ويحل افراد الحملة ضيوفاً على الاهالى فيثقلون كواهلهم بالايواء والاطعام وتبقى الحال هكذا حتى تشعر السلطة بان الملل ادرك افراد الحملة او ان الوضع عاد كما كان فتعين موظفا جديدا بدلا من الموظف القتيل او المعزول ويكون هذا اشارة الى عدم وجود خطر او مانع من عودة مشيرى الشغب من المناطق العاصية التى هربوا اليها عند تقدم الحملة الى قراهم.

فى مثل هذا الوضع لا يوجد ثم شىء اسمه الامن او النظام ولم يكن بإمكان محبى الامن والاستقرار ان يرجوا خيرا من السلطة التى يفترض انها تحمى الامن وتوفره

للمواطنين لذلك وجد شيخ بارزان كغيره من الشيوخ او اصحاب النفوذ المحليين ان يأخذ
زمام المبادرة بيده ليؤدي الواجبات التي عجزت الادارة الحكومية عن ادائها الواجبات ازاء
مواطنيه وانصاره ومريديه.

الفصل العاشر

الشيروانيون

خرج التصوف من المساجد والتكايا الى الشارع لمقاومة القوى المستغلة بنفس سلاحها. واخذ يعتمد على قوته البشرية وسواعد انصاره فضلا عن قواه الروحية. ومن تلك القوى البشرية التي اعتمدها، الشيروانيون انصاره الاوفياء. لقد كان للشيروانيين دور رئيس في طرد فتاح اغا من معاقله الثلاثة وبقوا امانة على رسالة شيخ بارزان جيلا بعد جيل وخلفا عن سلف.

تعد شيروان من القبائل الكبيرة. اشتهر افرادها بالشجاعة وشدة المراس وهي كثيرة العدد تنتشر قراها المتعددة على رقعة واسعة من الارض متماسكة متحدة وتتألف من الافخاذ التالية اسماءها.

١- فخذ (سه ري مه زنا) وله من القرى (بيدارون. دوري. كانياديري. ليوبير. زرارا. ريزان).

٢- فخذ (مامالا) وله من القرى (كوركئي. كيران. ايشوكر. سه رگه لي. بستئي. كيراناكير. به رُوژوك. گرد)

٣- فخذ (مامژدا) وله من القرى (بيستري. ژاژوك. ماله سوار. شيخ سيذا. سپيندار. ميرگه سور. باني. بن بيا. گوره تو).

٤- فخذ (مام دلا) وله من القرى (كاني لنجا. بردري. ماميسك. قازي. خيرزوك. ككله. بابكي. ممولا. بيرسياف).

٥ - فخذ (مام جما) وله من القرى (بيبود. كه لوك. كافلان. مهران. مه سه ني. سه رو كاني. پيران. كوله كا. گرگال).

٦ - فخذ (شيرواني ديرا) وله من القرى (شيروان. ليري. كلكه مو. برده ريا. سه دريا. بيبي. بيخشاش. كاني بوت. راوه شا).

ويغلب الاخباريون المحليون ان هذه القبيلة نزحت من جبال حكارى واستوطنت منطقتها الحالية بعد انتقالها من حياة الرعى والبدوة الى مزاوله الزراعة والاستقرار. فسفوح جبال (هورى و سه ري كورى و اطراف كوراثا) تؤمن لهم مساحات كافية من المراعى للقطعان صيفا. والاراضى الشيروانية هي من افضل المشاتى.

في فترة اليقظة الدينية لشيخ بارزان انضم الكثير من اهالي القرى المذكورة تحت لوائه. وهنا ايضا كما في الزيبار نقم بعض اغوات القبيلة على الشيخ وتعرض اعوانه الى اضطهادهم. وعندما عاد الشيخ الى بارزان كان انصاره الشيروانيون لا يتلقون اوامرهم الا منه وقد جمعهم الى اخوانهم (البه روژيين) رابطة الاخوة في الطريقة ان الشيخ كان قد اصدر امره الى انصاره البه روژيين بقبول الشيروانيين المضطهدين ضيوفا عليهم. فلبوا طلبه ورحبوا بهم واعانوهم في تامين احتياجاتهم. وقد روى لنا عن ذلك الشيرواني المدعو (حاجي ماميسكي) الذي ذهب يوما لطحن قمحه في احدى القرى فلمحه خدم الاغا (مير ملا) الشيرواني فامسكوا به وجردوه من سلاحه وانهالوا عليه ضربا وشتما حتى اذا شفوا غليلهم منه تركوه محذرين مهددين بقتله ان لم يكف عن موالاته لشيخ بارزان. فعاد (حاجي ماميسكي) الى قريته واتفق مع شقيقه (شيخو) على مواجهة (احمد اغا بيرسيافى) لبحث الامر. وكان احمد اغا آنذاك من مناصري شيخ بارزان. وبرغم وجود صلة القربى مع (ميرملا) التي لم تكن بالدرجة التي تجعل وساطته لديه اكيده المفعول لضمان عدم تكرار الاعتداء لم يتمكن من تقديم ضمان يقنع به الاخوين المطاردين. فلم يكن منهما الا ان تسللا في احدى الليالي من القرية باسرتيهما وقطيعيهما الى (به روژ). وكثير غيرهما فعل ذلك.

الفصل الحادى عشر

احوال المريدين والانصار

عملت الدعوة على غرس الاحساس برابطة الجماعة واثبتت فوائد الاتحاد والتكاتف وكافحت انطوائية الانسان القبلى ووجهت العنينات القبلية الى هدف واضح نبيل وعلمت التضحية وذلك بالدفاع عن مصلحة الجماعة والمصير المشترك ووجدت معيار مساواة لم يكن يهتم به من قبل، المساواة امام الله والتمايز بالعقل والعلم والتقوى. فمثلا عندما انضم احمد اغا بيرسيافى الى جماعة المريدين نبذ مظاهر الابهة التى يتحلى بها كبير القوم. شوهد وهو يحمل الحطب على كتفه اسوة بالفلاحين ويروح ويغدو من غير حاشية او اتباع. وتحلى الناس جميعا بفضيلة التسامح وصدوا عن التقاليد القبلية العنيفة كمتابعة الثارات والاغارة على القرى بقصد النهب بوصفهما من مظاهر الرجولة. لقد اجمع الاهلون على تطبيق النظام الجديد باختيارهم وارادتهم الحرة لابلالاكراه او الخوف من العقاب. وطء تغيير على بعض المفاهيم الاجتماعية كمفهوم الزواج الذى اصبح الان قائما على اساس الاختيار الحر. فزالت بذلك القيود التى كانت تحول دون الاختيار والرضا المتبادل ولم تعد المرأة سلعة. فقد فرض الشيوخ فى بارزان ان لاتتجر الفتاة على الزواج بمن لاترضاه. وان لاتكره من قبل ابيها او اخيها او ولى امرها بالزواج من رجل لاتريده او تميل اليه. كما لم يعد المهر والصداق عقبة فى سبيل الزيجة الامر الذى يلفت النظر بشدة فى عصر لم يكن للمرأة شان يذكر ولا كلمة فى مصيرها فى كل المجتمعات الشرق اوسطية.

ظاهرة اخرى تستحق الذكر ايضا هى زوال آثار التعصب الدينى والمذهبى. لقد وجد المسيحي واليهودى واصحاب المذاهب والطرق الاسلامية الاخرى انفسهم احرارا فى مجتمع لا يفرق بين الناس بسبب معتقداتهم واخذوا يمارسون شعائرهم الدينية بدون حرج ويعيشون فى بيئة لاتفرض عليهم عزلا اجتماعيا وانما تعمل على التعاون معهم على اساس المساواة فى الحقوق والواجبات. ومن تتبع حالة الاقليات الدينية فى الشرق الاوسط تحت ظل الدولة العثمانية فانه لاشك مدرك ماذا يعنى قيام مجتمع حريص على المساواة قولاً وعملاً.

حاول دعاة الطريقة النقشبندية فى بارزان تطبيق ذلك ونشر العدل والتعايش السلمى فى سائر ارجاء كردستان الا انهم لم ينجحوا الا فى دائرة مجتمعتهم لان المنافسة المؤدية الى

الصراعات بين الطرق ومشايخها كانت مما لا مفر منه عندما تتدخل الاغراض الشخصية. لقد ميزت الطريقة في بارزان بين ثلاث طبقات من التلاميذ تختلف فقط بمرتبتها الروحية اولها (طبقة الديوانه) و ثانيها (طبقة المريدون) و ثالثها (طبقة الزهاد). والاخيرة منها كانت تحظر على نفسها كل ماهو ثمرة الحراثة والعمل وغذاؤها قاصر على الفاكهة والنبات و مما تخرجه الارض تلقائيا. اما الثانية (المريدون) فهم الملتزمون باداء الفرائض الشرعية الاسلامية والسير على آداب الطريقة النقشبندية. وتميزت الطبقة الاولى (الديوانه) عن الطبقتين الاخرتين. كانت تمارس من الحرية اكثر مما ينبغي حتى تصل ممارستها هذه حد الاعتداء على حريات الاخرين. وكثيرا ماوقف الشيخ مكتوف اليدين امام تطرفها وعجز عن كبح جماح اعضائها والسيطرة على تصرفاتهم. وكثيرا ما اقدموا على اعمال دون استشارة الشيخ فيها معتمدين على (احوالهم) وعلى (المعرفة) التي زدتهم بها تلكم الاحوال). مقتنعين ان استنتاجاتهم صحيحة مستخلصة من جوهر التعاليم التي تلقوها عن شيخهم ومفترضين مقدما انه سيرضى عنها و يصادق عليها وانه ليس بإمكان الشيخ معارضتهم مادام تصرفهم نابغا من ايمانهم العميق بمعتقدهم. لقد ادى هذا النوع من التصرفات الغوغائية والمتطرفة الى امور مؤسفة خطيرة كما سيرد ذكره في موضعه.

كان (الديوانه) في احيان كثيرة يقدمون المبادئ التي تلقوها على اوامر الشيخ وفتاويه. وهم لا يرون خيرا في ذلك الشيخ الذي لا يطبق تلك المبادئ، ويسير على نهجها. فمثلا طردوا شقيق الشيخ محمد الوحيد (ملا قاسم) من بارزان بالرغم من استنكار الشيخ محمد ومعارضته. وعللوا عملهم هذا بقولهم ان التعاليم النقشبندية لم تروضه ولم تترك فيه بصماتها لتجعله شبيها بشقيقه. واجهوا الشيخ محمد مجتمعين وابلغوه بما قرره ولم يقد منطق الشيخ ورجاؤه وشفاعته. قالوا له «ان ملا قاسم سيكون سما قاتلا في المستقبل. ولو اتاحت له الفرصة لفرض اعمال السخرة على رقابنا كما يفعل الاغوات». وهكذا طرد (ملا قاسم) ولم يسع اخاه الا الرضوخ للامر الواقع فغادر المطرود بارزان الى (ولات زيري) ولم يغادرها لاهو ولا اهله. واحفاده يعيشون هناك الى يومنا هذا. (١)

ان نزول شيخ بارزان الى قرار الجماعة في امر يتعلق باقرب فرد من اسرته اليه هو بحق ادراك عميق لمسؤولية الرئاسة تتجلى فيه روح التضحية وانكار الذات وهي التي قربت شيوخ بارزان الى قلوب اتباعهم فامنوا بهم وباحكامهم ايمانا عميقا وحفظت لهم مكائنتهم وابقت مريدتهم ملتفين حولهم في اخرج الظروف حتى انهم (كما برهنت الاحداث فيما بعد) لم يكونوا ليرتدوا في استقبال الموت بصدر وهم باشارة واحدة من شيخهم لايعقبها

١- وهلات زيري الان اسوة ببقية المناطق التي شملها التهجير القسري والاستيطان العنصرى. ازيح عنها كل المواطنين وهدم كل قراها مثل شنكيل، باسيفا، داويدكا، ديل، هيرا، آفه نورسه، روكاني، شيقاني، بيكول

سؤال منهم اواستفسار. لقد طبق شيوخ بارزان ماجاء في الحديث النبوي (سيد القوم
خادمهم) وما جاء في الانجيل (من كان اكبركم فليكن خادما لكم).
ان نشوء الدعوة النقشبندية كتهيض لمصالح الاقطاعيين في مجتمع تسوده الزعامات
القبلية واضطرار الجانبين الى استخدام وسائل العنف كل للدفاع عن نفسه هو الذي فرض
على العقيدة الصوفية تجنيد طاقاتها الروحية لتغيير الوضع السائد بالسلاح والتحلي بروح
قتالية عالية. وقد استقطبت هذه الروح في طبقة (الديوانه) وهم جنود الطريقة الشجعان
الذين كتبوا بدمائهم تاريخ بارزان. كانوا رجال عمل لارجال قول ونحن نسمع عن مآثر
وبطولات شخصيات منهم مازالت السن الرواة تتناولها وتتناولها بالاعجاب والتقدير.

الفصل الثاني عشر

المشيخة والجيران

مرت المشيخات الصوفية (الخالدية - النقشبندية) على اختلاف مواقعها الجغرافية بمراحل تكاد تكون متشابهة. بدأت كلها بتسليم عميدها اجازة الارشاد من مولانا خالد او اولئك المجازين من قبله بدءاً بالاب او المؤسس منشاء الحلقات الاولى ثم بمجموعات من المريدين. و بعدها تاتي مرحلة ارساء الزعامة الروحية وهي عادة وفي كل المشيخات تبقى منحصرة ضمن نطاق اسرة المتسلم الاول اعنى ان الابن يخلف اياه او الاخ واخاه وهكذا. تسلم الشيخ (محمد صديق النهري) زعامة المشيخة في حكارى العام ١٨٨٣ وكان جده السيد طه النهري عميد الطريقة و مؤسس المشيخة وتلاه ابنه (الشيخ عبيدالله النهري) البطل القومي الذي وجه نفوذ المشيخة الروحي الى اهداف وطنية وقام بثورته الكبرى ضد الدولة العثمانية والايروانية معا. بعد الفشل الذي اصابه ونفيه الى استنبول تسلم الرئاسة حفيده (محمد صديق).

وكانت مشيخة (بجيل) تحت زعامة (الشيخ محمد ابن الشيخ احمد الكبير) مؤسس تلك المشيخة. وقد انضمت تحت لوائها قبائل كردية تتكلم اللهجة السورانية واللهجة الكرمانجية اهمها. (مام كرد. مام كه كول. پيربال. مام لس. مام ساكى. مام سال. مامه سامي. چاروتى. ماله سيني. خيلاني. سه رمردى. توخمه نبيله. مندك. توخمه بالين. وچاخ اومر. مامان مري).

وقد توحدت هذه القبائل ذات اللهجتين في اطار وحدة روحية متماسكة جمعتها معارابطة الطريقة النقشبندية فتجاوزت بذلك حدود العزلة والعنونات القبلية وازالت من بينها الحواجز التي خلقتها الاعراف والانتماءات القبلية وعداوات رؤوسائها. وفي بارزان كانت الزعامة للشيخ محمد ابن الشيخ عبد السلام وتكايا اخرى كتكية (بامرني) و تكية (بريغكان) القادرية. وهذه التكايا كانت في سبعينات القرن التاسع عشر قد اجتازت مرحلة البناء ورسخت اسسها.

لم تكن هذه المشيخات رغم قربها جغرافيا بعضها من بعض على صلات وعلاقات طيبة وانما كان يقلب على علاقاتها التباعد والجفاء وبدت كل منها وكانها تميل الى العزلة والانكماش والانزواء ولذلك لم يكن زعماءها يتبادلون الود ونعني بصورة خاصة

المشيخات الثلاث الهامة المتجاورة (بارزان، بجيل، نهري). بالاحرى كان ثم منافسة فيما بينها على اجتذاب القبائل الكردية كل الى معسكره. مالبت هذه المنافسة ان تطورت الى صراع دموى مرير وتناحر جري الى اشتباكات دامية خلفت مشاعر كراهية وبغضاء عميقة لعدة اجيال. لم يكن يستقيم مع تعاليم الصوفية و مبادئها الهادفة الى التاخى والتالف ونبد الخصومات والسلم والامر كله يعود لنفسية وطباع المرشد اهو نزيه متجرد ام هو محتال مخادع انانى؟

يقدم لنا الرحالة البريطانى (ويگرام) نموذجا لسوء خلق احدهم وهو (الشيخ محمد صديق النهري) قال «قبض على الشيخ عبيد الله النهري (والد محمد صديق) وابنه (قادر) ونفيا الى استنبول فى حين ترك ابنه الثانى (صديق) على راس القبيلة. وكان هذا الابن اشد مكرًا من والده فقتنع بالسلطان الفعلى على عشيرته وجمع ثروة عظيمة من عملية تهريب التبوغ على نطاق واسع. وكانت قوافله تدخل ايران ببغالها التى تزيد على المائة متحذية موظفى انحصار التبغ (الريجى). ثم وظف جانبا من ارباح تجارته فى عقد صفقات شراء بنادق من روسيا وبيعها فى اورمية. وان لم يكن الضبط والنظام قويين فى معسكرات جنود روسيا التركمانيين فىكون مصدر كثير من البنادق معسكراتهم لانهم كانوا يقايضونها بزجاجات الفودكا معه... ولايذهب دخل الشيخ كله فى شراء البنادق او فى الرشوة (البخشيش) فقد كتب مرة لواحد من مؤلفى الكتاب طالبا رسالة توصية الى بنك انكليزى قاتلا ان لديه مبالغ من المال يرغب فى ايداعها. فزكينا له بنكا او اثنين. ولما كنا نعلم ان سيادته يطلب من البنك فائدة تتراوح بين ١٠٪ و ١٥٪ مع اشتراطه سحب الودائع عند اللطلب فقد رجحنا ان القضية لن تؤدى الى نتيجة ما. لكن سرعان ما وجدت بضعة آلاف من الپاونات سبيلها فعلا الى (شارع لومبارد المالى) فى لندن. حقا ان اميرالمهريين هذا كان فى سعة من الرزق. زعيم عصابة تهريب كردى نورصيد مالى كبير فى انكلترا.» (١) كذلك كان الشيخ محمد صديق. فهو شيخ و صوفى و تاجر ومهرب فى نفس الوقت. وبطبيعة الحال كانت الصفتان الاوليان تسخران لخدمة الصفتين التاليتين. فى الواقع ان هذا الداء الذى ظهرت اعراضه فى مشيخة نهري كان كامنا فى كل المشيخات باستثناء الفاصل الزمنى فبينما الانحراف يصيب بعضها مبكرا يستمر الاخر منها على النهج المستقيم لفترة اطول. واختلفت المشيخات من حيث التطبع على نهج فكرى معين فكان ثم «مايصح» ان يطلق عليه (المشيخة القلقة) او (المشيخة الهادئة) و من النوع الاخير (مشيخة بجيل) و (مشيخة بامرني) و غيرها. ذلك لانها لم تصطدم بمعارضة الاقطاعيين مثلما حصل فى

١- مهدي البشرية (ترجمة الاساذ جرجيس فتح الله) الص ١٥٢-١٥٣

بارزان حيث شغل الصراع الطريقة فترة طويلة.

ولسلوك الشيوخ الشخصي كما قلنا تأثير كبير على احوال والشجاعة. فاختلافهم في فهم وتفسير المعتقدات الصوفية ومدى تحليهم بالجراءة فنحن في مواجهة المشاكل هي عوامل جوهرية في اعطاء المشيخة طابعها الخاص. فتحن نرى الشيخ (محمد صديق النهري) مثلا يقود مشيخته في مجرى يناقض خط والده وجده. ولذلك ساءت العلاقات في عهده بين مشيخته وبارزان وحصل التباعد بالرغم من متانة الروابط الروحية الماضية. (تخرج الشيخ عبدالسلام في نهري واجيز هناك). في الواقع ان الشيخ محمد البارزاني وقف عاجزا فاقد الحيلة امام نزوات (الشيخ محمد صديق) وتصرفاته الشاذة وابي مسابته فيها واقرارها عليها. وكان يخشى من حصول انشقاق خطير في الطريقة عامة وفيه مافيه من التأثير السئ على سير الاحداث في الزيبار. لان نهري كانت تمثل اقوى مشيخة كردية معاصرة.

الفصل الثالث عشر

النزاع بين بجيل و بارزان الاسباب والنتائج

في البدء كانت العلاقة بين مشيختى بجيل وبارزان طيبة. لقد بنى الشيخ محمد بابتة (خليفة) شقيق (الشيخ محمد بجيل) الذى استخلف والده (الشيخ احمد الكبير). (انظر الى شجرة الاسرة).

يذكر الرواة ان (الشيخ محمد البارزاني) كان ينتهز عادة مناسبة زيارته لصفه (خليفة) كيما يعرج بزيارة للشيخ محمد السورجى صديقه ايام التلمذة فى عقرة. وقد شاءت الصدفة اين يتولى الاثنان زعامة المشيخة احدهما فى بارزان و الاخر فى بجيل بعد موت والديهما. ويغلب على ظننا انه كان يوجد بعض سوء تفاهم بين الاخوين البجيليين (محمد و خليفة) مما حدا بخليفة صهر الشيخ البارزاني الى طلب اجازة الارشاد من بارزان فاجيز. وربما زاد هذا من القطيعة بين الاخوين.

كان شيخ بارزان داخل حدود مشيخته بحاجة الى اصدقاء يعتمد عليهم وقد بدا طبيعيا ان ينشد تلك الصداقة من اقرب المناطق وبالاخص بجيل التى لا يفصل بينها وبين بارزان غير سلسلة جبال (قريشو) كما كان ايضا يطمع بتوطيد علاقاته مع نهري الا ان اماله لم تتحقق لمعاكسة سير الاحداث له ويعود مبدء النزاع بين مشيختى بارزان و بجيل الى الحادثة التالية. اقيم فى (روفى) وهى قرية يسكنها رؤساء عشيرة الكوران حفلة رقص مختلط (رهش به له ك) بمناسبة عقد قران دعى اليه الوجهاء و من بينهم (محمد حافظ) ابن الشيخ محمد السورجى. وفى اثناء الرقص وقعت عينا (محمد حافظ) على احدى المشاركات فى الرقص وشعرت هى بما يكنه فبادلته العاطفة ونمت العلاقة مع الايام وكانت المرأة ذات بعل له مقامه و مكانته فى الوسط الكوراني. اخيرا وبعد لقاءات سرية اتفقا ان يقوم (محمد حافظ) بخطفها. ولم يكن خطف المرأة المتزوجة عند العرف القبلى بالامر الهين لانه يعد انتهاكا لاقدس الحرمات. وعلى اية حال سمحت (رهشى) لنفسها بان تختطف فتركت دار زوجها ليلا ونزلت من القلعة خلسة حيث كان حبيبها ينتظرها فى مشارف القرية فاسرع واردها خلفه وانطلق بجواده فغاب فى احشاء الظلام. ومالبت الامر ان انكشف فتوجه زوج

المخطوفة (شريف اغا) الى الشيخ محمد السورجي الذي روغته الحادثة واصابته بصدمة مؤلمة. فحاول هذا اقناع ابنه برد الزوجة الى بعلها دون جدوى. وعاد الشيخ محمد السورجي يلتمس من الزوج تسريح المخطوفة بالطلاق مخيرا اياه بين ان يختار لنفسه الفتاه التي يريدتها من بين العشيرة او ان يطلب ماشاء من مال الا ان شريف اغا يرفض رفضا قاطعا. ولما اعيت الشيخ الحيل طرد ابنه و حرم على القبيلة ايواءه. فلاذ (محمد حافظ وحبيبته بكهف وصار يعيش عزلة تامة حافلة بالقلق والتوجس من طالبى الثار (مازال هذا الكهف يسمى باسمه الى يومنا هذا). وفي اخر ربيع تلك السنة احتسى (محمد حافظ) برفقة قبيلة (الهركى) فى رحلتها الصيفية الى مراعيها. اسقط فى يد شريف اغا وتبين له عجز الكورانيين عن الثار له من محمد حافظ لضعف العشيرة بالمقارنة مع السورجيين فسكت على مضض متربصا بفرصته وقد جاءت بشكل غير متوقع عندما حشر الشيخ محمد البارزانى فى القضية من حيث لا يريد فقد ارتأى بعض الفضلاء ان يوسطوه فى الامر وزعم بعضهم بان اقارب (شريف اغا) قصدوه فى العام ١٨٩١ وطلبوا منه ان يجد حلا للمشكلة. فافتى بان يفصل الخاطف عن المخطوفة ولو ادى ذلك الى استعمال القوة ومن ثم «رد» الزوجه الى زوجها. وتطوع فاوكل تنفيذ الامر الى بعض خاصته ومنهم (احمد اغا بيرسيافى). كان الوقت خريفا وقد نزل الهركيون الرحل لتوهم ومن بينهم (محمد حافظ) فى الوادى المعروف بوادى (سوران) واناخوا فى موضع منه يعرف اليوم (كرافده لى رومى) القريب من قرية (شاندر) البارزانية. فتبعهم رجال الشيخ وتنكر اقدمهم واختلط بالرعاة خارج المضارب وتوصل الى ما يريد معرفته من المعلومات. وفى ساعة متاخرة من الليل اقتحموا خيمة (محمد حافظ) الذى كان يغط فى نومه مع (ره شى) فامسكوا بهما وابلغوهما بان شيخ بارزان قد امرهم باخذهما اليه. ثم وقعت الملساة.

(١)

لقد سجل الشعراء والمغنون قصة هذا العشق. قصة انتهت بمأساة وجرت الوبال على البعيدين والقريبيين منها مازال الناس يرددونها شعرا وغناء حتى يومنا هذا. ومما حفظه الرواة محاوراة شعرية طويلة على لسان الحبيبين تسرد الوقائع والملابسات من اولها الى آخرها حتى تنتهى برثاء (ره شى) لحبيبها القليل فتقول -
 واحسرتا. فى مضارب الخيام فى وادى سوران
 حيث البيادر والندوب الغائرة
 دخلوا الخيمة وهجموا على حافظ وهو نائم.
 الطعنة الاولى جاءته من (ملاي شكر)
 اما الثانية فمن (ملاي طيب)
 والثانية من (مالخوى شاندرى)

١- ومنهم المغنم الشهير (كاو بس. اغا)

يؤكد ذلك ما ذكره الرواة عن الذين قتلوا (حافظ). لمن يكن هؤلاء مكلفين بقتله ولا راغبين في ذلك. ولكن كان يرافق هؤلاء الثلاثة مرید من (الزور گافین) متهور مندفع بادر من تلقاء نفسه بطعن (حافظ) طعنة و وضع اصحابه الثلاثة امام الامر الواقع فقد وجدوا ان غضب الشيخ سوف ينصب على رفيقهم (الزورگافی) وحده فوجدوا ان السبيل الوحيد لتخفيف الوقع عليه هو توزيع المسؤولية بمشاركته فبادر كل منهم الى غرس خنجره في جسم حافظ الذي كان كما يقول الواقفون على الامر يعالج سكرات الموت على اثر الطعنة الاولى القاتلة. ولا يعرف ما الذي حدا بالزورگافی الى هذه الجريمة. والتعليل الاقرب الى المنطق هو اعتقاد القاتل ان الموت هو العقاب الذي يستحقه (محمد حافظ). على اية حال وجد (احمد بيرسیاقی) المكلف بالاشراف على تنفيذ اوامر الشيخ والذي كان يرافق هؤلاء الاربعة انه في مركز بالغ الحرجة لانه فشل في السيطرة على تطرف المریدین. ولذلك ثارت ثائرتة عندما علم بالنبا واعتبر ذلك ازدراء لاوامر شيخ بارزان.

لما علم القتلة بغضب الشيخ ادرکهم رعب عظیم و تواروا عن الانظار. ووقع الشيخ في مأزق اذ كان اخلق به ان لا يورط نفسه في مسألة لاناقة له فيها ولا جمل. وهو الآن يقف عاجزا عن تفسير العمل للشيخ محمد السورجی او محاولة اعتذار منه اذ كان يدرك جيدا ان الوالد الثاقل لن يقنع باي تفسير. لقد ادى مقتل (حافظ) الى نزاعات دموية كانت بارزان في غنى عنها ونالت من سمعة الشيخ محمد. انحاز الشيخ السورجی بقبائله القوية الى اعداء بارزان و هم الاغوات وقد زودهم هذا الانحياز بمبررات و حجج جديدة فشطت دعوتهم بانحراف شيخ بارزان عن سبيل الطريقة القويم حتى ان شيخ بجیل اصبح من اعدائه مع وجود رابطة المصاهرة بينهما.

وتسربلت الخصومة بثياب العقيدة واصول ممارسة الطريقة واصبح بغض مرید هذه المشيخة للآخرى متيارا لاخلاصه لمشيخته نفسها. وتفاقم الامر بحيث انه كان يكفي ان يبدو البارزانی بعمامته الحمراء لتثور اعصاب السورجی و يتهيج الى حد الوثوب عليه والاشتباك معه في قتال دموی مثلما كان يحصل للبارزانی عندما يلمح عمامة السورجی السوداء.

وبدء شيخ بجیل يوجه حملات تاديبية وانتقامية ضد عدد من اعوان شيخ بارزان راح ضحيتها كل من (مالخو شاندری - احد المشارکين في قتل حافظ) و (عثمان ايسومری)^(٣٧) وكلاهما من ذوی المکانة في نزار. فساد الرعب اهالي القرى البارزانية المتاخمة واصبح يتعذر على الرعاة والمزارعين الابتعاد عن حدود قراهم لمباشرة عملهم اليومي خوفا من رصاصة تطلق عليهم او كمين نصبتة احدى المفارز السورجية. ثم اكتشفت مؤامرة لاغتيال

٢- قتل عثمان ايسومری وهو في اعلى شجرة منشغل بقطف العفص خارج قريته (ايسومرا) برصاص احدى مفارز السورجيين.

شيخ بارزان اذ ارسل فدائي سورجي الى تكية بارزان مدعيا انه (طالب توبة) لكن انصار الشيخ شكوا فيه ووضعه تحت الرقابة ولما ضيقوا عليه وايقن بان امره افتضح حاول الهرب باتجاه البساتين وكاد يفلت من المطاردين لولا امراة يهودية دلتهم على مخبئه والاتجاه الذي سلكه. فادركوه و هو مختف فى خرج فاطلقوا عليه النار واصابوه واكتشفوا مسدسا كان يحمله فى طيات ثيابه لتنفيذ ما اوكل له تنفيذه.

وفى (نزار) توقفت الحياة اليومية تقريبا واصبح الابتعاد عن تخوم القرية بالماشية وقطعان الغنم غير مامون. وبنتيجة ذلك عملت كل قرية على اتخاذ احتياطات امنية لرد «اي» هجوم مباغت. واستهدفت بلدة (عقرة) مركز تسويق البارزانيين الرئيس الى شبه حصار اذ اصبح طريق مرور قوافلهم اليها محفوف بالخطر.

ذكرنا ان شيخ بارزان تألم كثيرا لمقتل (حافظ) وقد سمع وهو يقول لاحمد اغا بيرسيافى الذى جاء بالمخطوفة الى بارزان ثم الى زوجها - «اما انا او انت. فاحدنا سيكون ثمنا لدم حافظ». وبكت زوجة الشيخ عندما علمت بمقتل ابن عمها.

دام التعرض المسلح زمنا قبل ان ياتى الرد من البارزانيين. و باثروا فى الرد عندما تجاوز السورجيون الحدود التقليدية المرسومة عرفا للاخذ بشارهم. فتطرفوا كثيرا فى عملياتهم الانتقامية.

كان موقف (خليفة) صهر الشيخ البارزاني عسيرا. على انه توفى قبل ان يشاهد بعينه مقره ومقر اولاده من بعده تهاجم من قبل ابناء العمومة الذين كادوا يستولون على قرية (كولكان) لولا نجدة جاءتهم من الهركيين بقيادة (حاجى اغا الهركى) زعيم العشيرة.

الفصل الرابع عشر

الاشتباكات في كه لات وبجيل

وفي العام ١٨٩٢ و بعد ان زادت غارات مفارز السورجيين على قرى البارزانيين. اجتمع هؤلاء لبحث الوضع وارتأى معظم اعوان الشيخ مواجهة القوة بالقوة وايقاف العنف باستخدام العنف. ويؤكد الرواة الذين نقل عنهم ان الشيخ محمد بقى يعارض هذه الفكرة. فتالفت قوة من محاربي بارزان انقسمت الى رتلين اولهما كان بقيادة (فقي عبدالرحمن) (١) و (وسمان آغا) وثانيهما بقيادة كل من (ملاشكر) و (حجي حيدر). و وضع للقوة الاولى هدف الاستيلاء على (بجيل) وللثانية احتلال (كه لات) وجرى التنفيذ بالدقة والسرية اللتين طبعتا فيما بعد سائر عمليات البارزانيين العسكرية وانتفاضاتهم ضد السلطة.

وجد (فقي عبدالرحمن) (١) من الافضل التركيز على قصر الشيخ ومقره في بجيل فاحتلاله كفيل بانهاء المقاومة وضمن الاستسلام السريع و تجنيب الطرفين الخسائر. في حين ظن قائد الرتل الثاني (حجي حيدر) ان (كه لات) غير محصنة وان بإمكانه احتلالها بهجوم مباغت. وبالفعل لم يشعر احد باقترب قوة (فقي عبدالرحمن) واحاطتها بالقصر ليلا وكانت الابواب موصدة فانتظر فرصته بخروج خادمة من القصر فادركها وكم فمها و دخل الحصن بعدد من رجاله. الا انهم لم يجدوا الشيخ السورجي فيه وانما كان ثم ابنه (قيوم) وطمان القائد الاسرى على حياتهم وقد اذهلتهم الصدمة - مؤكدا لهم انه ليس في النية الاعتداء على احد ولا ارتكاب اعمال ثارية. على ان احتلال القصر بهذه السهولة لم يؤدي الى النتيجة المتبتغة. فقد تعذر على (فقي عبدالرحمن) الانسحاب من القصر بالرهائن و فشلت بقية القوة التي تركت خارج القصر مبثوثين في انحاء القرية في السيطرة على القرية و تحقيق الاتصال من ثم حماية القوة عند انسحابها من القصر. فلم ير (فقي عبدالرحمن) مخرجا الا التحصن داخل القصر الذي اصبح الان مطوقا باهالي القرية و هم نهب للقلق والتساؤل حول مصير اسرة الشيخ. وقاتل السورجيون باصرار و عناد. و صد المحاصرون في القصر امام الهجمات المتواصلة. بقي الوضع على هذه الصورة الى ان حضر (الشيخ محمد السورجي) وكان مترددا وجلا لا يستقر على رأي مخافة ان يفقد ابنا ثانيا فيما لو انصاع الى رأي الذين اقترحوا عليه اشعال النار في القصر لاجبار المحصورين على

١- كان هذا قد درس على يد الشيخ عبدالسلام وهو في آسته وقد تلقى مبادئ القراءة والكتابة منه.

الاستسلام او حرق من فيه مؤكدين للشيخ ان المهاجمين قد قضاوا على أسرته. الا ان الشيخ احب ان يتأكد من بقاء ابنه في قيد الحياة فطلب من المحصورين ان يقدموا برهانا فتقدم الشيخ قيوم واخرج يده من النافذة ملوحا بها الى والده فصرف النظر عن احراق القصر. وفشلت محاولة تالية لاقتحام القصر عندما علا السورجيون سطح البناء وباشروا بازاحة التراب لثقب السقف و مباغتة القوة المحصورة الا ان هؤلاء فطنوا الى العملية فتربصوا بالحفارين حتى اذا ظهرت فتحة من السقف بادر القناص البياني المشهور (محمد شيخ يزيدين) باطلاق النار فنزف دم وانساب من الفتحة وفشلت العملية بعد وقوع ضحايا. ومضى اليوم الثانى دون ان يهتدى الطرفان الى وسيلة يحقق بها كل غرضه. واضطر (فقى عبدالرحمن) الى ان يصدر لرجاله امرا بعدم اطلاق اية رصاصة الا عند الضرورة القصوى بعد ان كاد عتادهم ينفذ. اما فى كه لات فقد خسر الرتل الثانى عامل المباغتة. هوجمت القرية فى عين الوقت الذى بدء فيه الهجوم على قصر بجيل الا ان المدافعين عن القرية كانوا مستعدين لهم ففوجئ المهاجمون بناكثيفة ومقاومة عنيدة. ومما زاد فى الطين بلة ان فريقا منهم نسي المهمة الاصلية وانصرف الى السلب والنهب فاستاق مواشى القرية والقطعان فعاقبتهم عن الانسحاب فى الوقت المناسب وانهز السورجيون الفرصة فاخذوا يستقدمون النجدات من القرى المجاورة وزاد الوضع حراجه وسقط كثير من القتلى من بينهم قائد الحملة (ملاشكر وحجى حيدر). وقتل ابن الثانى منهما ايضا وبلغ عدد القتلى الاثنى والعشرين وهو عدد مقارب لقتلى السورجيين فى تلك المعركة.

ما كان الشيخ البارزانى يتصور نتيجة كهذه ولا كان مستعدا لتلقى انبائها المحزنة. وايقن انه مالم يقدم على عمل سريع فان رجاله سيقضى عليهم جميعا فى (كه لاتى) لاسيما وان القوة المدافعة عنها ستتوجه بعد دحر القوة البارزانية والقضاء عليها - الى بجيل حيث يمضى القائد فقى عبدالرحمن مع رجاله اخرج ساعات حياتهم. وغمر بارزان شعور بالياس من امكان عودة ذويهم احياء.

تم تاليف قوة انقاذ بقيادة (محمد امين بابسيقى) و (احمد اغا بيري سياتقى) تطوع فيها عدد كبير من المتحمسين و عبروا الزاب باتجاه جبل (قريشو) وكان قوام قوة (احمد اغا) من عشيرة الشيروانى و قوام قوة (محمد امين بابسيقى) من عشيرة (مزورى السفلى). حسمت المعركة فى (كه لات) بآبادة القوات البارزانية واسرع السورجيون المنتصرون الى بجيل لنجدة اخوانهم و تشديد الحصار. واعلموا (فقى عبدالرحمن) بان قوة (ملاشكر) و (حجى حيدر) قد تم القضاء عليها وعرضوا عليه الاستسلام و نشروا امامه ثياب القائدين القتيلين فى معركة (كه لاتى) الا انه رفض ذلك و مضى اليوم الثالث بليله. وصلت النجدات البارزانية مشارف بجيل واشتبكت فوراً فى معركة عنيفة

مع السورجيين اسفرت عن هزيمة الاخيرين و تخليهم عن محاصرة القصر فخرج
المحصورون و معهم رهيتهم (الشيخ قيوم) وانسحبت القوة جميعها الى بازران. ولما لم
يكن من مخطط (الشيخ محمد البارزاني) الانتقام اذبادر فوراً باعادة الشيخ قيوم الى والده
مكرماً و محاطاً بالرعاية الامر الذي يؤكد عدم رغبته من البداية في اللجوء الى الحل
العسكري لفض النزاع بين المشيختين

لاشك ان مقتل اثنين و عشرين بارزانيا كان كافيا لاهداردم (الشيخ قيوم) الا ان
البارزانيين الذين كانوا يطمعون في غفران الشيخ للحماقة التي ارتكبوها لم يعترضوا على
رد الابن الى ابيه. و مما يجدر ذكره ان هذه البادرة خلفت اثرا عميقا في نفس (قيوم) فقد بقي
طوال عمره وبالرغم من النزاعات الدموية التالية بين المشيختين يكن ودالبارزانيين.

الفصل الخامس عشر

الحلف ضد بارزان وعودة النفوذ لاغوات الزبيبار.

انتعشت آمال اغوات الزبيبار باستحكام الخلاف بين مشيختي بارزان و بجيل وكانوا يتابعون بعطف على السورجيين مجرى المعارك ويقدمون من تلقاء انفسهم على مساعدتهم من ذلك ان اغوات (هه رني) ساعدوا عددا من المفارز السورجية في ضرب قرية (صفتي) التي تقطنها غالبية موالية لشيخ بارزان و سلب مواشيها واغنامها. لذلك و على اثر عودة الشيخ قيوم في صيف العام ١٨٩٣ توجه عدد من اغوات الزبيباريين الى الشيخ محمد السورجي للتفاهم على خطة عمل مشتركة تتم بها تصفية مشيخة بارزان. ونحى جانبا امرالمجابهة المسلحة وفضلوا الجنوح الى الوقية والدس. ثم انهم شدوا الرحال جميعا الى الشيخ (محمد صديق النهري) في حكارى وكان معترفا له بالرئاسة من اغلبيية القبائل الكردية. واستعد الشيخ محمد السورجي للمناسبة فنظم شكواه وظلامته بقصيدة انشدها في حضرة شيخ نهري جاء فيها

توى ده پرسى له حه قى

توى صديقى صادقى

ته مبي دكهى ناحه قى

تو سيدى مطلقى

و ترجمتها

انت الحريص على الحق

انت الصديق الصدوق

انت مؤدب المارقين

انت السيد المطلق

و عرضت قائمة طويلة بجرائم الشيخ البارزاني منها الانحراف بالطريقة عن تعاليمها الصحيحة. والقيام باعتداءات مسلحة (بشهادة الشهود الحاضرين اغوات الزبيبار). واعمال السلب والسطو بتواريخها. و تهديد تخوم المشيخة السورجية باعمال الفوضى والشغب

وحذر (الشيخ السورجي) في قصيدته من مغبة ترك الجبل على الغارب لشيخ بارزان ولمحت الى ان ذلك قد يهدد نفوذ مشيخة الشيخ نهري نفسه بل ربما كان هدف شيخ بارزان الاستظهار عليه. وصادف كل ذلك هوى في نفس محمد صديق. فبادر في العام نفسه الى استدعاء الشيخ محمد الى (كاتيونا) مصيفه. الا ان اصدقاء الشيخ في نهري حذروه من نوايا (محمد صديق) واكدوا له ان في الامر مكيدة وفخا منصوبا و سعوا لاقناعه باهمال الدعوة. وفي بارزان تالفت رابطة تهدف الى منع الشيخ من الذهاب ولو بالقوة مبدين استعدادهم لتحمل التبعات والنتائج. كان الشيخ يعلم ان رفضه الدعوة سيثير غضب شيخ نهري الواسع السلطان والنفوذ فيتخذ من الامر ذريعة للاغارة بقواته المتفوقة على بارزان وقراها و من ثم احتلالها و تعريضها للخراب. كما كان يدرك في الوقت نفسه ان ما ينتظره هناك ليس بالشيء الذي يحب. ومن هنا صحت عزيمته على تلبية الدعوة لعله يجد اذا صاغية من شيخ نهري حين يطلعه على الحقائق التي شوها اعداؤه.

شد الشيخ الرحال الى (كاتيونا) ولما ارادت (الرابطة) الوقوف في سبيله ادركه الغضب الشديد واخذ يعنفهم ويوجه اليهم قارص القول فنكصوا على اعقابهم وتركوه الا انهم صاروا يتعقبونه بقوة مسلحة دون علم منه لحمايته. فقد كان قلقهم عليه عظيما. وفي (كاتيونا) وقبل مثوله امام (الشيخ محمد صديق) اتصل به اصدقاءه سرا ونصحوه بعده رؤية الشيخ والعودة من حيث اتى الا انه لم يتحول عن قراره و قصد مجلس الشيخ ولم يستقر به المقام حتى شعر بالجوالخائق من الجفاء والبرود. وبد اشيع نهري عبوسا فظا وراح يهدد عدة مرات بانه سيسحب اجازة الارشاد من ضيفه وادرك شيخ بارزان ان الامر قدبت فيه قبل حضوره وان الحكم قد صدر عليه بغيا به و ابرم. ولم يكن استدعاؤه لغرض استيضاح الحقيقة وانما لاجل تفهيمه بالحكم. وراقب الشيخ اتباعه و هم يجردون من اسلحتهم. ولما لاحظ تمنعا من بعضهم انتهره وامره بالرضوخ. وامر شيخ نهري بان يؤخذ البارزاني مع نفر من اتباعه الى (بدليس) حيث اودعوا سجن الحكومة العثمانية... لقد افهم شيخ نهري موظفي الدولة بان المقبوض عليه مجرم سفاك وله تاريخ حافل بالشغب واعمال الاعتداء فلم يعترض القائمون بالامر هناك واطاعوه كأنما ينفذون امرا صادرا من جهة رسمية مسؤولة مؤولة. ان الدولة العثمانية لم تكن لترد طلبا لمحمد صديق حتى ان الرحالة (ويگرام) يذكر كيف كان يتصرف في منطقته تصرف الحاكم المطلق و يقوم بتطبيق ادارته الخاصة عوضا عن ادارة الدولة «.... في نهري - نايري يوجد (قائمقام) تركي مع مفتش انحصار التبغ. اسكنهما محمد صديق في بيت جميل بناه من ارباح تجارته التي كان من واجب وظيفتهما ايقافها عند حد. الا ان هذين الحيوانين الاليفين تم تدجينهما (١) تماما».

على سبيل المثال، كان شيخ نهري قلقا من بزوغ نجم بارزان لذلك اتخذ شكوى الغير
علة لتنفيذ مآربه وهو القضاء على مشيخة بارزان. كما قصد افهام الشيوخ المحليين الاخرين
بانه صاحب السلطة العليا في المنطقة و شيخ الشيوخ كلهم.

بايداع شيخ بارزان السجن تحقق حلم الاغوات الكبير وعاد رجال الحلف مرتاحين
مقتنعين بان ابعاد شيخ بارزان عن المنطقة كفيل بعودة نفوذهم واستعادة سلطانهم المتقوض
على القرى التي انحازت الى الشيخ. فعلا وفعلا بسطوا ايديهم ثانية على قرى الزيبار و
شرعوا يعتصرون مواردها ويسخرون اهاليها و عانى اعوان الشيخ ومريدوه كثيرا من العنت
والظلم وتعرضوا لتدابير انتقامية و ثارية. وعاد (فتاح اغا) كالسابق وكلاءه و على القرى.
على ان آل (مصطفى اغا) اغوات (بيره كيره) و هم من اقرباء اغوات (هه رني) لم يحركوا
ساكنا ولم يشاركوا فقد كانوا اضعف واقل نفوذا من اقربائهم الهه رنيين ولذلك بقيت
للاخيرين اليد العليا.

في تسعينات القرن التاسع تردد اسما (حسن اغا) و (محمد اغا) من اغوات آل مصطفى و
يظهرانهما كانا معاصرين لكل من الشيخ محمد البارزاني و فتاح اغا الزيباري.
واضطر الزيباريون بعامل الظروف ان يخدموا اسيادهم الجدد ظاهريا دون ان يطردوا
تغيير على ولائهم القديم في غياب شيخهم الذي شاع حول مصيره مختلف الشائعات حتى
ظن القوم ان امره انتهى.

الفصل السادس عشر

بعد السجن

العودة

ان قيام السلطات التركية باعتقال شيخ بارزان وايداعه السجن. كان جزء لا يتجزء من سياسة دأبت على اتباعها في مختلف ارجاء امبراطوريتها تلك الامبراطورية المتداعية التي عجزت ادارتها و جهازها القضائي عن ضبطها تقضى هذه السياسة بتحاشي تقوية اى زعيم محلي على حساب جيرانه والمحافظة على الموازنة بين الزعماء المتجاورين و عدم تشجيع احد منهم الى الحد الذى يمكنه من السيطرة عليهم ليصبح خطرا على نفوذها فى المنطقة. ولهذا فمع الفوضى والتسيب اللذين يحكمان تصرفاتها الادارية كانت تدرك اهمية الموازنة واثرها فى المحافظة على هيبة موظفيها و من ثم هيبتها. لذلك كان لا بد من ان تعتمد الى ايقاف سلطان (نهرى) اذ مازالت ذكرى ثورة (بدرخان بك البوتانى) فى اربعينات القرن التاسع عشر بقصد الانسلاخ و تكوين كيان كردى لانها القت الحبل على الغارب له ولم تعتمد من البداية الى الحد من نفوذه - مازالت هذه الذكرى ماثلة لها. كما وانها مازالت تشعر بمرارة ثورة الشيخ عبيدالله النهري فى ١٨٨٥ لانها لم تكن يقظة بما فيه الكفاية لتقليم اظفار الثائر قبل فوات الاوان. فلم تشعر الا وقد خرج عليها بجيش كامل العدة واستولى على مساحات مترامية من كردستان مخططا للاستقلال. لقد كانت سياسة التوازن بين نفوذ الشيوخ المحليين هى التى اطلقت سراح شيخ بارزان. ولم يكن الاعتذار منه وعرض المال عليه الاشارة غير مباشرة لشيخ نهرى الهدف منها افهامه بان لنفوذه حدودا يقف عندها ولا يتعداها هذا فضلا عن تلقين الجميع درسا فى ان الحكومة العثمانية ليست بالغافلة عما يحصل هناك. وبمختصر القول انها لم تسجن الشيخ لذنوب الصقته به كما لم تحترم ارادة شيخ نهرى لانها تكن الودله او ثقة منها بولائه لها بل فعلت كل ذلك تمشيا مع سياستها و حرصا على مصالحها الخاصة.

بقى الشيخ سجينافى ولاية بدليس حتى نهاية ربيع العام ١٨٩٤. و بعد ان اتيح له ان يفهم المسؤولين الترك الاسباب التى كمنت وراء اعتقاله تم اطلاق سراحه. ولم يكذبأعودته يصل الزيار حتى عمت الفرحة الاتباع و قدعلموا انه مربيهدنان بحماية قوة من الجندرية وانه رفض منحة مالية عرضتها عليه الدولة و كان هذا لهم دليل على عودة

شركة مقرونه برضا الدولة واعادة الاعتبار له.

ارسل الشيخ محمد كلا من (ملا سمايل) و (رسول ساكي) و (ملا صالح بيبي) الى منطقة بارزان لاعلان خبر قدومه وكان (خالد خمو) مع جماعة من الرجال قد سبقوا اليه. وبلغ الرسل الثلاثة بارزان فخرج الشيروانيون كلهم للقائه حتى ان بعض القرى واجهت ازمة قوت لكثرة المستقبليين. وفي العمادية التقى بطلائعهم. وتوقف في بهدينان وزار شيوخها شارحا لهم ظروف اعتقاله. وفي قرية بارزان احتشدت جموع القرويين في الساحة الكبيرة المعروفة به (ميدان) ورفع المسلحون بنادقهم واطلقوا النار في الهواء تعبيراً عن فرحة اللقاء.

تبلور الصراع

تواترت الاشاعات في الفترة التي تلت عودة شيخ بارزان عن تحالف (نهري - بجيلي). وقيل ان شيخ بجيل وعد (محمد صديق) بقطع من الغنم مقابل القضاء على شيخ بارزان. ثم تلقى شيخ بارزان دعوة اخرى من (شيخ نهري) للحضور ومواجهته في قرية (هورى) وجاء في رسالته انه سيكون بانتظاره هناك للمداولة الرامية الى تصفية المشاكل الراهنة والحيلولة دون تدهور الوضع. ولم يتردد الشيخ البارزاني من تلبية الدعوة رغم شكوكه فغادر بارزان بحماية قوة كبيرة. الا انه لم يجد الشيخ النهري في المكان المضروب بل كان ثم ممثلون عنه تساندتهم قوة مسلحة الا ان المسلحين البارزانيين احبطوا المحاولة (ان وجدت) بتطويقهم المحل فاضطر هؤلاء الى المسابرة والملاينة وقالوا انهم تقدموا شيخهم لاجل استقباله وان (محمد صديق) هو الآن في قرية (بيندرو) المزورية بانتظار وصوله. بهذه اتسع الشق بين بارزان و نهري وسرت عدوى خصومة بارزان الى هه رنى و بيركپره و بجيل و نهري لتؤلف التحالف المنظم الكبير.

الفصل السابع عشر

قوات الحلف تغزو بارزان

في صيف (١٨٩٥) عقد اوسع حلف قبلي ضد المشيخة البارزانية. وعمد الاغوات بزعامة شيخ نهري وبجيل الى ضم قبائل اخرى وجرها الى الحلبة. وهي قبائل لم يسبق لها علاقة مباشرة بالنزاع مثل قبيلة (الهورماريين) بزعامة (سيتو) و (الريكانيين) بزعامة (تنو) و (البرادوستيين) بقيادة (محمد شريف) فضلا عن رؤساء الزيبار والشيروان والمزوري الذين انفض عنهم معظم اتباعهم وبالتالي فقدوا نفوذهم بسبب انتشار الطريقة النقشبندية بين رعاياهم. وتزعم الحلف (محمد صديق) الذي تدين له قبائل شمدينان كلها بالطاعة. كان الهدف القضاء النهائي على مشيخة بارزان بهجوم عام هدفه احتلال منطقة بارزان كلها. فتزحف قبائل شمدينان من الشمال الشرقي بينما تنطلق العشرات الاخرى بحكم موقعها الجغرافي لتطوق المنطقة من الجهات الاخرى و تضيق حلقة التطويق تدريجا باحتلال القرى التي تقف فاصلا بينها وبين قوات شمدينان. لقد وصلت انباء الاستعدادات الحربية الى الشيخ البارزاني فلم يحرك ساكنا ولم يأمر بتدابير مضادة بل كان يعد يامل في تفاهم يعقبه سلام دائم وصرح بانه لاينوي المقاومة. لكن الحلف كان قد قرر البدء بالهجوم في شهر رمضان و تطايرت الاشاعات عن مدى الاستعدادات وحجم القوات التي ستشارك و انتاب الذعر تلك القرى التي كانت قد تنكرت لرسائنها واغواتها او طردتهم ومنها قرية (بيدارون) التي تعرضت اكثر من مرة لنقمة اغوات الشيروان وراح ضحيتها انفس كثيرة (١)

أسقط في يد الشيخ وأدرك ان المقاومة لاتجدي والمعرفة غير متكافئة معروفة النتيجة فامر بمغادرة القرية كيلا لايزيد وجوده الامور تعقيدا. ترك (بارزان) مشيعا بالبكاء و وصل (گرکی جوی) فلقية رعاة في (ساليكا) وعرضوا عليه ان يرافقه ويتركوا قطعانهم فابى وعبر النهر باتجاه (سرى مازنا) ومعه عدد من الاعوان الذين التحقوا به خوفا من ان تتعرض ارواحهم للانتقام الشخصي. وبادر اهالي القرى يعرضون الدخالة

١- في العام ١٨٨٧ كانت هذه القرية الموالية للشيخ تعيش في سلام ودعة فاذا بهاذات يوم تستيقظ على ازيز الطلقات النارية تنهال عليها من كل جهة بهجوم كان يقوده (ميرملا) الذي طوقها ثم اقتحمها واحرق منازلها واستاق مواشيها وقتل ثلاثة من رجالها وجرح امرأة بعد ان هرب سكانها الى الجبال. ولم يتركها (ميرملا) الاخرابا ورمادا.

على القبائل الزاحفة حفنا لدمائهم وصونا لممتلكاتهم. اعترض (احمد اغا بيرسيافى) سبيل شيخه اثناء مروره بقرى الشيروانيين والح بان يقبله رفيق منفى فابى وامره بالبقاء والعمل على الاتصال بشيخ نهري والتفاهم معه فعاد احمد اغا ادراجه مستاء ومترددًا من مواجهة شيخ نهري لاسيما وانه كان قد علم بسعاية بعض رؤساء الشيروانيين ضده. (٤)

ترك الشيخ محمد منطقة الشيروانيين و مر بـ (بالكيان) حتى بلغ (رواندوز) التي كانت مركز ناحية وفيها موظفون اتراك وحامية فحل ضيفا على علماء دينها.

اكتسحت القبائل المتحالفة منطقة الشيخ طولا وعرضا ووقع بعض الذين كانوا قد هموا بمرافقة الشيخ في يد القوات المتحالفة فسلبتهم قطعانهم ومواشيهم. وفي (رژوكرا) تصدى (اوديش السيلكى) للقوات المتوجهة نحو قبيلة مزورى لاحتلالها فحصلت مناوشة قتل فيها اثنان من شمدينان ولقى (اوديش) مصرعه كما قتلت امرأة.

عادت القرى تزرع تحت نير القوات المتحالفة و عا د الاستغلال والظلم و فرضت السخرة مجددا وقام المحتلون بنصب اداراتهم فاتخذ (قاسم اغا) رئيس احدى فصائل شمدينان من قرية (باز) مقرا له واوكلت ادارة مناطق اخرى الى الاغوات باشراف ممثلى (شيخ نهري) واستدعى جميع مختارى القرى ومقدميها ووجهائها تباعا ليقسموا يمين الولاء واحضر بعض الناس و طلب منهم الادلاء بمعلوماتهم عن ممتلكات الشيخ فلم يعثروا بعد تحقيق وتحري طويلين الاعلى بغل واحد فصادروه.

اثقلت القبائل المحتلة كاهل القرويين اذ فرضت عليهم اعاشة و تموين المحتلين و سخروهم فى مختلف الاعمال فزادت كراهيتهم واشتد مقتهم.

باحتلال شيخ نهري بارزان و مناطق حليفاتها وترؤوسه الحلف اتسعت دائرة نفوذه فى نهاية العقد الاخير من القرن التاسع عشر لتشمل كل منطقة الزيبار التي كانت فيما مضى جزء من الامارة البابانية. واثبت وكلاؤه فى كثير من القرى بانهم لا يمثلون مشيخة دينية بل هم مجرد وكلاء جباية و ادارة وفرض اتاوة. وقسمت مناطق النفوذ بين الاغوات الصغار فكان لاغوات المزورى والشيروان والزيبار حصص الاسد. فى تلك الاثناء كان شيخ بارزان و هو فى منفاه الاختيارى (رواندوز) يتابع مايجرى فى بلاده بقلب كسير يديم زيارته واتصالاته ببعض شيوخ المنطقة الدينين وزعمائها شارحا لهم الحالة.

٢- غادر احمد اغا بيرسيافى قريته متوجها الى شيخ نهري وفى طريقه اليه اشار عليه (ملا ابراهيم بيسكى) و (بدرخان بناقوكى) ان يعود ادراجه والا فهو مقتول لامحالة فلم يصغ اليهما ومضى لطيبته فبلغ (نهري) فامر الشيخ بحبسه فى اسطبل حيواناته تحقيرا له وبعد ثلاثة ايام استدعاه وطلب منه ان يقسم بيمين الولاء كما فعل غيره من الوجهاء ومقدمى القرى فابى ذلك وصرح بشجاعة انه موال للشيخ محمد. وانه لا يريد ان يمسن القرآن كذبا. فوقف شيخ نهري حائرا امام شجاعته و اخلاصه ولم يسعه الا ان يعيده الى قريته دون ان يمسه بسوء.

الفصل الثامن عشر

[الخلاف بين اطراف الحلف الشمدينانى]

وانتفاضة العام ١٨٩٥

مضى الصيف واقبل الخريف والقوات المحتلة ماتزال مخدقة فى المنطقة. الا ان الخلاف سرعان ما دب بين الاقطاعيين رؤساء عشائر الزبيار (كفتاح اغا هرني) و آل مصطفى اغا) واغوات شيروان و مزورى من جهة وبين وكلاء شيخ نهري من جهة اخرى فهؤلاء الاخرون وبتوصية من شيخ نهري نفسه عمدوا الى الاستئثار بخيرات المنطقة واستنزاف مواردها دون ان يتيحوا المجال للاولين او يتركوا لهم سهما واخذ التضامن يفقد قوته تدريجا ثم ان شيخ نهري خص فتاح اغا هرني ببعض الامتيازات فنقم عليه آل مصطفى اغا و خاصموا قريبهم فتاح. وبرز من آل مصطفى حسن اغا و محمد اغا يناصبانه العداء وفي شيروان حاول شيخ نهري ان يملك لنفسه جزء من سهول (گرکه به ن) الخصبة فاثار حفيظة اغواتها. وامتدت يد شيخ نهري بعد بارزان الى تخوم (بجيل) فثارت الشكوك فى نيات الشيخ النهري لدى شيوخ المنطقة وكرهوا تواجد القوات النهرية على حدودهم. وشعر الاغوات ان شيخ نهري ينوى البقاء الى ماشاء الله عندما ارسل قطعانا كبيرة من غنمه الى المشاتي الممتازة فى به رروژ للمرعى. فزاد ذلك من قلقهم. لقد سلخ (لشكر شيخ نهري) فى تلك الربوع سبعة اشهر تزايد خلالها الشعور بالاختناق الاقتصادى وارتفع الاستياء والتذمر وبرم الجميع بالحالة رعية واغوات واخذوا يبتمون انسحاب هذا الجيش باسرع وقت.

انتفاضة ١٨٩٥

لم تكن الدولة العثمانية مستعدة باية حال لتجريد حملة فى سبيل الدفاع عن حقوق اهالى بضع وعشرين قرية معزولة. ولم تكن فى وضع يحملها على التدخل فى نزاعات محلية وهى غارقة حتى ذقتها فى حروب استقلال بلاد البلقان. فضلا عن انه لاخطر من هذه الاحداث على هيبتها او كيانها. ولاشك ان شيخ بارزان و هو فى منفاه كان يدرك ذلك تماما. وانه توصل الى ان لاسبيل لازاحة الكابوس الجاثم على المنطقة الا استخدام القوة.

وان لا احد غيره يستطيع تعبئة مثل هذه القوة. فشرع يتصل سرا بانصاره واصدقائه و مرديه وماعتمت ان تبلورت نواة لقوات التحرير من الانصار والتلاميذ والملتحقين الهاربين من ظلم الاغوات. وبدء التعرض المسلح لهذه القوات بان تسللت وحدة الى قلب بارزان دون ان يشعر بها المحتلون بوصفها الهدف الاول الى جانب قرية (بالندا) الا ان يقظة قوات نهري وتفوقه العددي حال دون نجاح الهجوم واضطرت القوة الى الانسحاب. لقد حقق هذا الهجوم رغم فشله نصرا معنويا بما أحياه من امل في القلوب اليائسة وما اشاعه من خوف في نفوس الاغوات فبادروا الى اتخاذ احتياطات الدفاع وارسال الكشافة لرصد تحركات القوات البارزانية وتعقيبها و تضييق الحصار عليها. حتى انها اضطرت الى الانسحاب باتجاه (بله ژيرى) حيث كان من الطبيعي ان يعلم الاخوان حسن آغا ومحمدآغا بوجودها وكلاهما كان من فريق المتذمرين الحاقدين على (فتاح آغا) لاستثثاره بالحظوة عند (الشيخ محمد صديق) وبالامتيازات دونهما فقررا ان ينحازا الى الجانب الآخر وبعثا برسول موثوق هو احد اتباع الشيخ البارزاني المقربين يعرضان موالاتهما. وكدليل على الرغبة و حسن النية عرض حسن آغا على القوة اتخاذ قريته (بيره كپره) وهى من افضل المواقع ستراتيجية مقرا عنيا لهم.

تقع (بيره كپره) فى اسفل سفح جبل (پيرس) الشرقى وتبعد عن الزاب مسافة ستة كيلومترات تقريبا وفيها قصر الاغا وقلعته الحجرية المنيعة. وعندما تم الاتفاق عبرت قوة الشيخ نهر الزاب و دخلت القرية وتحصنت فيها مخترنة كميات كبيرة من البارود مؤونة كافية استعدادا لحصار محتمل طويل الامد. وقد صدق حدسها اذ سرعان ما وجدت نفسها داخل طوق من القوات الشمدينانية وانصار فتاح آغا المحليين. وكان على رأس القوة البارزانية رجال مشهود لهم بالكفاءة والشجاعة منهم (فقى عبدالرحمن) و حاجك چمى) و (سليمان وسمان آغا) والآخر ينتمى الى طبقة الاغوات انسلخ عن جلده الطبقي واقتبل الطريقة من بارزان واخلص للشيخ.

بدء الاشتباك فى شهر ايار ١٨٩٦ بهجمة قوات الحلف على مواقع المدافعين باعداد كبيرة فصدت. وبعد ثلاثة ايام تجدد الهجوم واستمر القتال يوما كاملا دون نتيجة. واحبطت عدة محاولات لاقتحام القرية فلم يجد المهاجمون بدا امام الخسائر التي تكبدوها الا ان يحكموا الحصار حول القرية بانتظار نفاذ المؤونة والعتاد. امتد الحصار بهم اكثر من اسبوعين وفعلا كاد عتاد المدافعين ينفد واضطروا الى ذبح المواشى بعد نفاذ المؤونة ونجح ثلاثة منهم فى خرق الحصار ليلا (فوصل) وا عقرة وابتاعوا منها ما يحتاجونه من عتاد (رصاص) و عادوا وحالفهم النجاح فى التسلل الى اخوانهم دون ان تشعر بهم قوات العدو. واستمرت المقاومة وكان شيئا لم يحدث. وظلوا يصدون الهجمات ثم يباغتون الاعداء بهجوم

مقابل. ثم ينسحبون الى مواقعهم كرا وفرا.

في تلك الاثناء داب شيخ بارزان على رفع الظلّامة تلو الظلّامة الى (والى الموصل) تدعوه للتدخل وايقاف القتال. وقد ادى استمرار المعارك وعدم ظهور مايشير الى نهاية لها الى ان تتحرك الحكومة التركية و تخرج من دائرة صمتها المطبق. فارسلت اذارا الى شيخ نهري تنهيه فيه عن مواصلة القتال و تنبهه بصراحة الى انها سوف تتدخل عسكرياً ما لم يرفع يده عن المنطقة وينسحب بقوته من الزيبار.

دخل القتال في (بيره كپره) اسبوعه الرابع من دون ان يحقق الحلف الشمديناني غرضه في احتلال القرية في حين كانت الضحايا بين صفوفه تزداد. وفي صبيحة يوم من ايام حزيران شاهد المحصورون في القرية واهاليها و هم لا يصدقون اعينهم، قوات نهري ترفع الحصار و تبتعد عن القرية على شكل زمر و جماعات تسير في اتجاهات متفرقة. و في نشوة الشعور بالانفراج هم بعض المدافعين من ذوى الرؤوس الحارة بتعقيب القوات المنسحبة و حاول (حاجك جمى) اقناع هؤلاء المتهورين بالبقاء حيث هم فلم يجد نصحه ولا رجاؤه. و اندفع (فقي عبدالرحمن) و (سليمان و سمان اغا) برجالهما حتى بلغا (الزاب) يراقبان على الضفة قوات نهري و هي تنهيا للعبور شرقاً ولم يتمالكا اعصابهما و فتحا النار عليها و دامت المناوشات فترة كافية لوصول الانباء الى (هرني) حيث كانت قوات فتح اغا المنسحبة من (بيره كه پره) قد وصلتها لتوها و لم تتفرق بعد. فقفلت مسرعة الى ميدان الاشتباكات و هاجمت القوات البارزانية من الخلف ف وقعت في فخ غير متوقع و انهال على رجالها الرصاص من كل جهة و سقط قتلى كثيرين علمنا منهم (فرچيچ بيداروني) و (ملا باس زيويه بي) و كان من بين الجرحى (على فقي عبدالرحمن) و سادت الفوضى صفوفهم و راح كل منهم يفكر في النجاة بجلده فتنزقوا افراداً وازواجا. و نم ينقذهم الاحلول الظلام اذاخذوا يتسللون تحت جنح الليل من دون ان يعلم احدهم ماذا حل برفيقه. و مضت ثلاثة ايام كوامل قبل ان تجتمع فلول القوة المبعثرة في (بيره كه پره).

عرفت هذه المعركة بموقعة (دلان) نسبة الى القرية التي وقع الاشتباك بالقرب منها. اما في (بيره كه پره) فلوجود (حاجك جمى) و ملازمته موقعه امكن رد هجمات القوات المعادية و ايواء القوات البارزانية العائدة بعد الهزيمة في (دلان). كان من نتيجة هذا التحرش ان ضرب الحصار مجدداً على بيره كه پره و استؤنفت المناوشات الا ان ذلك لم يدم طويلاً. اذ مالبت قوات نهري ان تفرقت ثانية.

بعد ان خلت المنطقة من قوات نهري، اخذ انصار بارزان يفكرون في مناجزة اغوات الزيبار و تصفية الحساب معهم اولئك الذين افسدوا عليهم عملية تعقيب القوة النهريّة و شجعهم على ذلك حسن اغا و محمد اغا الزيباريين فباغتوا (هه رني) بالهجوم

واستظفروا على الاغوات ففر هؤلاء الى المرتفعات ما وراء جبل (پيرس) الا ان قوات الشيخ واصلت تعقيبهم حتى لحقت بهم وظفرت به (حاجى اغا) الذى قتل اثناء الاصطدام واصيب شقيقه بجرح مميت لم يمهل طويلا. وتوغلت القوة البارزانية فى قرى الزيبار الغربية حتى بلغت مشارف (هزارجوت) و سقطت قلاع الاغوات فى ايديهم واحدة تلو الاخرى فدكوها وساووها بالارض نذكر منها قلعتى (هه رنى و نياخى) بصورة خاصة. لقد منى الاغوات بشر هزيمة عرفوها وبادر البارزانيون بدورهم فعينوا وكلاء لهم فى سائر الزيبار الغربية، حيث سلمت الادارة بيدهم. و على اثر هذا النصر الكبير عاد شيخ بارزان الى زاويته.

الفصل التاسع عشر

تجدد القتال

مناوشات منگوره

انسحبت قوات شمدينان من الزيبار نحو النهاية الشمالية الشرقية لمنطقة بارزان و
تمركزت في جبل (منگوره) واتخذت قرية (نهاثا) مقرا. كان بإمكان هذه القوات ان تغير
على قرى الزيبار والشيروان متى شاءت و هذا ما حصل فعلا. فقد تلقى (احمد اغا بيرسيافى)
نبا من قريبه (محمد شريف لولانى) يفيد بان قوات شمدينان تستعد للاغارة على قريته
فاحتاط (بيرسيافى) لنفسه باقامة الربايا فى ضواحي القرية وحصن المواقع المحاذية للمقبرة
فى (بيرسيافى) بصورة خاصة.

استهدف الهجوم قريتى (بيرسيافى) و (كانيا لنجا) و اظهر اهل القرية الاولى ضروبا من
البسالة فى الدفاع امام قوات متفوقة ولما اضطرب بعضهم الى ترك المواقع الامامية والتوجه
الى القصر للاحتماء به انتهرهم (احمد اغا) وعابهم ولم يسمح لهم بالدخول فعادوا وواصلوا
القتال. واصيب (قطران) وهو من اشجع المحاربين الشمدينانيين فتنازل الهجوم على
القصر وفشلت القوات النهرية فى الاستيلاء على القرية فانسحبت. كما منيت بالفشل ايضا
تلك القوات التى جردت على قرية (كانيا لنجا). اذ صدهم (حاجك چمى) وتمكن من
دحرهم.

لما بلغ الشيخ (محمد صديق) نبا فشل قواته راودته الشكوك فى اخلاص قوادها
فصب جام غضبه على بعضهم وعزل اخرين. مع ذلك بقى الخوف يساور النفوس من
احتمال اعادة الشمدينانيين الكرة والقيام بهجوم من داخل حدود منطقة قبيلة (الگردي) التى
تقع شمال منطقة عشيرة (شيروانى) و تتاخم حدود القبيلتين. (١)

انقسام فى الگرديين

فى زمن الشيخين (السيد طه نهري) وابنه (عبيدالله) انتشرت الطريقة النقشبندية فى

١- هذه القبيلة تسكن حاليا فى كردستان تركيا.

اوساط قبيلة (الگردى) بتاثير مزدوج من مشيختى (نهرى و بارزان). ولم يكن ثم خلاف فى حينه بين المشيختين. لكن بعد ان تسلم (محمد صديق) رئاسة المشيخة النهرية تدهورت العلاقات مع بارزان و بسبب تصرفات (محمدصديق) الشخصية البعيدة عن آداب الطريقة اخذ نفوذ (نهرى) يتقلص فى قبيلة الگردى وتحولت الانظار نحو بارزان واعتبر بعضهم شيخها مرشدهم الروحى.

ولما شعر (محمدصديق) ان نفوذه فى انكماش حاول تدارك الامر. لكنه لجأ الى اساليب العنف والاكراه مما ادى الى نتيجة معكوسة وزاد ابتعاد فريق من الگرديين عنه واقتربهم من مشيخة بارزان. ثم جاءت الاصطدامات المسلحة لتؤدى الى انقسام الگرديين على انفسهم كل فريق يوالى طرفا من الطرفين المتنازعين. وقام بعض الموالين لشيخ نهرى منهم بالوشاية على الاخرين وعلى اثر ذلك ارسل شيخ نهرى نفراً من مسلحيه لجلب اثنين من زعماء الگردى الأقوياء وهما (ميرشكر) و (ملا محمود بيسكى) المعروفين بموالانها لشيخ بارزان فاقتيدا اليه مخفورين الا ان (ملا محمود بيسكى) وثق الى الافلات من ايدي الحرس و توارى ثم اتجه الى بارزان فى حين جىء به (ميرشكر) الى نهرى مخفورا.

طلب ملا محمود بيسكى من شيخ بارزان ان ياذن له بنقل أسرته الى قرية بارزان خوفا من انتقام شيخ نهرى فارسل الشيخ معه (فقى عبدالرحمن) لجلبها و عندما بلغا (بيسكان) و علم الگرديون الموالون بالحكاية توافد عدد كبير من سكنة القرى الاخرى (گرانه و زيت و شه روژنا و بيجور) وغيرها و حاولوا ان يردوا القادمين عما اعتزما قائلين انهم قادرون على حماية رئيسهم. وهكذا بقى فقى عبدالرحمن ينتظر قرار الشيخ النهائى. ثارت ثائرة شيخ نهرى لما بلغه من موقف الگرديين و جهز حملة ضدهم بقيادة (عبدالله رزه يلى) فتقدمت حتى بلغت قمة جبل (سه رى سلو) واتخذت مواضعها فيه. ولما بلغ ذلك بارزان تحرك قطاع (قول) سليم اغا شيقى و خوشوى سيلكى فوصلا (زيت). وكان فى هذه القرية (ملا حسن بابزدين) فانضم اليهما برجاله. اما (فقى عبدالرحمن) فقد الف مع (ملا محمود) قاطعا ثانيا. والف (عبدالله حسكو) القاطع الثالث. وتمرکز (احمد اغا) شقيق (ميرشكر البيروخى) فى (سه روكانى) وكان (محمدسليم زيبارى) يقود ستين مسلحا و تقرر ان يتوزع الگرديون الموالون فى تلك الجهات لكونهم اعلم بطبيعة المنطقة. ومن جهة ثانية تمرکز (سعيد ولى بك) و (حاجك جمى) فى سقوح جبل (منگوره) خارج قرية بيسكا. و تمرکز (مام اغا) القائد النهرى المشهور آنذاك فى قصر (نهاقا).

شنت قوات نهرى هجومها فى صباح مبكر على جبهة واسعة تشمل مواقع (زيت - بيروخ - بيجنى - موسكا - سه روكانى) وحمى الوطيس واستمات المدافعون ففشل الهجوم رغم شدته وانسحبت القوات المهاجمة فلاحق بهم البارزانيون والگرديون وشنوا عليهم

هجوماً مضاداً وراحوا يطاردون المنسحبين فانقلب الانسحاب الى هزيمة ولحقت الهزيمة
ايضاً بالعدو في (سه وروكانى) فانسحب لينضم الى القوة المنهزمة الاولى في انحاء بيروخ.
وهناك اعادت تنظيمها واتخذت مواقع محكمة بحيث اخذت تهدد القوات البارزانية في
(بيروخ) ولكن البارزانيين لم يدعوا لهم مجالاً وهاجموهم فجرت معارك عنيفة اندحرت
على اثرها قوات شمدينان فتقهقر بعضها الى جبل منگوره ذى الجرف الشديد الانحدار
واستسلم نفر من القوة النهريه من ابرزهم نذكر (قورتاس و يونس باوى شمدينانى و على
نافشارى وزينو ك هركى و شيخ رشيد لولائى) الذى تزعم فيما بعد مشيخة عرفت بـ
(مسيخة لولان البرادوستى) وقد اطلق سراحه بفضل توسط قام به اقرباؤه الشيروانيون (٢)
لم يعد للقوات النهريه بعد هذه المعركة معنويات تذكر باستثناء قوة (مام اغا)
المتحصنة فى قصر (نهاثا). لقد ضيقت عليه قوة بارزانية الخناق وحاصرتة عدة ايام ووقعت
اشتباكات اصيب (عبدالله حسكو البارزاني) فى احداها اصابة مميتة الا ان نبأ وفاة هذا القائد
لم يعلن لكيلا يشجع ذلك (مام اغا) على الصمود والاستماتة وانتهى الحصار بعد ان اردي
(مام اغا) برصاصه. فطلبت بقية القوة الدخالة واستسلمت واخذ المستسلمون يخرجون من
باب القلعة واحدا اثر الاخر ويسلمون اسلحتهم للبارزانيين عند باب القلعة.

١- كان للشيخ رشيد لولان ادوار عدة فى العهد السياسية الاربعة التى توالى على العراق - العهد العثماني - عهد الاحتلال
البريطاني - الحكم الملكي العراقي - الحكم الجمهورى العراقي وتوفى فى ١٩٦٧ وقد اناف على التسعين

الفصل العشرون

دور الاستقرار

ايام الشيخ محمد الاخيرة

بعد العام ١٨٩٦ ونتيجة الانتصارات المتوالية التي حققها البارزانيون في الزبيار هدات الاوضاع وانصرف الشيخ محمد الى نشاطه الروحي. وتحقق الانقلاب الشامل في مفاهيم المجتمع القبلي الزبيارى وتقاليدته. كان ثورة اجتماعية اصيلة ازيل بها معظم آثار حكم الاغوات الطويل وما طبع عليه من اعراف وعادات استرقاقية مقيتة. لقد انطفأت نار الثارات القبلية. وحل محلها الصنع ونسيان الاحقاد و هذا ما مهد للاتحاد والتعاقد وأستتب الامن والاستقرار في المنطقة.

علم الشيخ اتباعه فضيلة احترام شعائر المسيحيين واليهود الذين كانوا يعيشون في المنطقة وفي قريته بالذات واحاطهم بالرعاية فكان يعاقب بصرامة غير اعتيادية من تسول له نفسه الاعتداء عليهم او الحاق الاذى بهم مما اشعرهم بانهم مواطنون حقيقيون لا يمتاز عليهم الغير بسبب الدين والعقيدة بعكس المفاهيم التي غرسها الحكم العثماني في نفوس رعاياه المسلمين بخصوص الاقليات الدينية ضمن الامبراطورية. اذ كان الولاة ورجال الادارة الاتراك يشجعون ذلك لخلق الحرج وتبرير التدخل حيثما دعت الحاجة الى تامين السيطرة وفرض الاحكام. لذا كان الشيخ البارزاني يكرم المسنين من اتباع الديانتين الاخرين اكراما خاصا حتى اثرعن اليهود وصفهم للشيخ انه «بمنزلة أحد كبار احبارنا» وقال المسيحيون عنه «انه لا يختلف عن واحد من روحانييننا نرجع اليه في امورنا الخاصة كم نرجع اليهم (١)».

خلال هذه الفترة ايضا امتدت رابطة الاخوة بين مريدي الطريقة تلاحما وارتفع بهم تعاطفهم الروحي وتأخيهم الى مرحلة الفداء والايثار المطلق حتى بلغ الامر بجماعة قرية (دوري) ان اعلنوا الغاء الملكية الخاصة ووضع الاموال والمقتنى في حالة الشبوع لكن الشيخ نهاهم وحذرهم من ذلك خشية اثاره خفيظة العقادين واعطاء حجة للداسيين

١- جاء في كتاب (طريق في كردستان) للسيد هاملتون (ت. جرجيس فتح الله. ط بغداد ١٩٧١ ص ١٧-٢) «ان الشيخ رشيد لولان هاجم الشيخ احمد البارزاني (ابن الشيخ محمد و خليفته) لانه كما يزعم يميل الى النصرانية والواقع ان كلا الشيخين متعصب لدينه الاسلامي الا ان اراءهما مختلفة جدا وكذلك اخلاقيهما فالشيخ رشيد رجل لا يؤمن بجانبه وليس اهلا للثقة مطلقا...»

وللغرضين لاتهمهم بالزندقة والانحراف واذا ذاك لن يكون خصمهم الا الدولة نفسها وليس شيخ نهري او اغوات الزيبار.

لقد توصل المريدون في المشيخة الى طريقتهم في التعاون الاشتراكي مستلهمين من استقامة شيخهم وعدالته وخشونة عيشته وصدق تعاليمه وعدم اهتمامه بالمادة. فعاشوا سعداء في هذه البقعة المنقطعة عن العالم والمنعزلة عن التطور الحضاري في اوربا انذاك وفي العالم الجديد. توصلوا الى اشتراكيتهن الساذجة انطلاقا من واقعهم الخاص وايمانهم الروحي وحاجة الحياة في منطقتهم الى التكاتف والتآلف والوقوف صفا واحدا ضد ظلم الاغوات وقسوة الطبيعة توصلوا الى ذلك من دون ان يلموا بشيء عن الافكار والمبادئ الاقتصادية الثورية المنطلقة في العالم.

كانت الفئة المستنيرة من حكام الدولة العثمانية تحاول بشتى الاساليب تحديد السلطة المطلقة للسلطان وخليفة المسلمين بسن دستور ينص على مبادئ العدل والمساواة وحماية الحقوق والحريات الشخصية والعامّة من العسف والانتهاك وازالة الفوراق الطبقيّة الكبيرة والحد من الاستغلال الطبقي. فدفع (مدحت پاشا) ابو الدستور وكثير من رفاقه الاحرار حياتهم ثمنا لتلك المحاولة.

لهذه الاسباب ولاسباب اخرى يمكننا ان نستنتج بان شيخ بارزان كان ينظر الى المستقبل البعيد فيسبق تفكيره اهل زمانه المجاهدين لاجل الحرية والعدالة حين يوقف عملية شيوع الملكية التي هم بها مريدوه في قرية (دوري) ويحذرهم من مغبة مواصلتها. مع انه نفسه كان ضد فكرة التملك وحياسة العقارات. و يكره كل مظاهر الترف والرواة يتناقلون حكايات كثيره عن زهده بمتاع الدنيا وتقشقه من ذلك انه خرج يوما لزيارة قرية من قرى الاغوات و بعد ان قطع مسافة طويلة توقف برهة لينال قسطا من الراحة فلمح كلبا يتبعهم فاستفسر من مرافقيه عنه فقالوا انه كلبه فطلب الشيخ ان يطردوه ويمنعوه من اللحاق به معللا الامر بانه لا يريد ان يعتاد كلبه طعام الاغوات اذستلزمه العادة فيعاف العيش عنده. وقد ادركت الشيخ الوفاة في العام ١٩٥٢ وكان قد تجاوز الخامسة والستين من العمر. موصيا بخلافته لابنه (عبدالسلام)

الفصل الحادى والعشرون

عصر الشيخ عبدالسلام الثانى

- اليقظة الوطنية الكردية

احوال الدولة العثمانية

راح المواطن التركى يتابع شعبا بعد شعب يفلت من قبضته وجزء بعد جزء يقتطع من امبراطوريته: الصرب فى ١٨٢٨ ثم اليونان فى ١٨٢٩ ثم رومانيا وبلغاريا والبوسنة والهرزوك فى ١٨٧٨ ثم البانيا فى ١٩٠٨ فيتعاظم شكه وتوجسه فى نيات الشعوب الاخرى الباقية تحت حكمه (العرب والكرد والارمن والاثوريين) اذ بدأت هذه الشعوب الخاضعة تتململ وتزداد ادراكا و سخطا لما تعانیه من استغلال واضطهاد وقمع.

لقد عزت الطبقة التركية الواعية كل المصائب التى حلت بالامبراطورية الى طبيعة الحكم المطلق الذى يمارسه السلطان (خليفة المسلمين). لذلك كانت جهود الجمعيات السرية الوطنية العثمانية ومحاولات الطبقة المتنورة منصبة - كاول خطرة نحو الاصلاح - على الحد من سلطة هذا السلطان وتقييدها بقيود دستورية. اوبكلمة اخرى سن دستور يتمشى مع الروح الديمقراطية التى هبت نسانتها من الغرب مكتسحة عددا كبيرا من الحكام المستبدين وفسحة المجال لشعوبها للمشاركة فى الحكم. وبعد محاولة (مدحت پاشا) (١) زعيم الاحرار العثمانيين التى لم يكتب لها النجاح وقبر دستوره. نشطت تلك الجمعيات وبالاخص جمعية (جون ترك - تركيا الفتاة) السرية ولقيت لها انتصارا فى اوساط فريق من ضباط الجيش العثمانى والاصلاحيين المثقفين المنتمين الى جمعية (الاتحاد والترقى) وهى الذراع الضارب لحزب تركيا الفتاة فافلحوا بحركة انقلابية عسكرية فى ارغام السلطان عبدالحميد الثانى فى تموز ١٩٠٨ على اعلان تطبيق الدستور. ثم اسقطوا السلطان نفسه فى نيسان ١٩٠٩. الا ان النظام الجديد الذى اقامه هؤلاء الضباط والمدنيون اخذ يعمل دابعا على تركيز السلطة فى يده و يبتعد عن احكام الدستور و يحاول بتعصب اعمى (عشمة اوتتريك) كل القوميات الاخرى الباقية داخل اطار الامبراطورية العثمانية الامر الذى

١- المصدر الاعظم (١٨٢٢ - ١٨٨٤) مات مخنوقا فى السجن بامر من السلطان عبدالحميد الثانى.



الشيخ عبدالسلام البارزاني يتوسط جماعة من رجاله



سعيد فقي عبد الرحمن

الرجاء الى الاخذ باساليب القمع والاضطهاد الوحشي لانه قبول بردود فعل عنيفة من سائر القوميات التي كانت تبني آمالا على الدستور. وقد اصاب الكرد من عمليات القمع هذه سهم كبير فاغلقت نواديبهم ولوحق اعضاء تلك النوادي وسدت صحف كردية ولم تكذب بعد ترى ضوء النهار. كانت فكرة الاصلاح السياسي الى جانب اليقظة القومية قد شملت معظم الاكرد المثقفين الذين اخذوا ينادون بالحرية سرا وجهرا احيانا بأكراد يعملون من اجل التحرر وأحيانا كعثمانيين يضمون نشاطاتهم الى جهود الاتراك لتحقيق (الحرية والعدالة والمساواة) وهو الشعار الذي نادى به الاتحاديون في مبدء الامر

يقظة الطبقة الكردية المثقفة

«في نهاية القرن التاسع عشر بدء ظهور الطبقة الكردية المتنورة. ومعظم افرادها هم من اصل ارستقراطي اما اولاد امراء نفتهم الحكومة التركية الى استنبول او ابناء زعماء قبائل درسوا في مدارس محلية او تخرجوا في الاكاديميات العسكرية للاميراطورية وكانت قد فتحت ابوابها للشباب الكرد في ١٨٧٠.

«وفي استنبول وقف فريق من هؤلاء المثقفين على الافكار البرجوازية الوطنية وبادوا يصدرون جرائد وشكلوا جمعيات سرية وعلنية... وحتى قيام ثورة الجون ترك (تركيا الفتاة) كانت طلائع الحركة الكردية الوطنية مبعثرة في عدة حلقات وتجمعات. وفي نيسان ١٨٩٨ نشر (مدحت بدرخان بگ) اول جريدة كردية باسم (کردستان) كانت ثقافية الاتجاه اصلا لكنها ايضا مثلت دور الوسيط للحركة الكردية الوطنية واصبحت صفحاتها الارضية التي التقى عندها الاكرد الوطنيون.

خلف عبدالرحمن بگ بدرخان شقيقه (مدحت) في تحرير الجريدة وعندما تبدلت الظروف السياسية واتسع نشاط محرريها ارغمت الجريدة على الانتقال الى جنيف في سويسرا ثم الى لندن ثم فولكستون في انكلترا. وبعدها انقلاب (الجون ترك) ظهرت الجريدة ثانية في استنبول وكان محررها هذه المرة (ثريا بدرخان بگ). لكن هذه الجريدة اختفت اثناء الحرب العالمية الاولى فانتقلت الى القاهرة حيث صارت تصدر مرتين كل شهر.

ظهر اول تنظيم كردى في الفترة التي قبض فيها (الجون ترك) على ازمة الحكم وقد ايدهم الزعماء الكرد على امل الاستمتاع في ظلهم بالحقوق القومية مغتربين فرصة وجود مناخ ملائم وجو من الحرية.

واسس على بدرخان بگ والجنرال شريف پاشا والشيخ عبدالقادر ابن الشيخ عبيدالله نهري (كان الاخير رئيسا لمجلس الشيوخ العثماني) جمعية عرفت بـ (جمعية تعالي وترقى كردستان) واصدرت جريدة باللغة التركية باسم (كورد تيقون و ترقى گازيت) كان (جميل بگ) رئيسا لتحريرها. نوقشت على صفحات هذه الجريدة مشاكل الثقافة الكردية واللغة والوحدة الوطنية فمالبت ان نالت شعبية طاغية في اوساط جميع المبعدين الكرد الى استنبول.

وفي خريف ١٩٠٨ تشكلت (الجمعية الكردية لنشر المعارف) ويظهر ان (جمعية تعالي و ترقى كردستان) كانت هي الممول لها. وتم فتح مدرسة كردية في حي (جمبرلي) باستنبول وتوخيا للدقة نقول ان هذه الجمعيات لم تكن منظمات سياسية ذوات برنامج واستراتيج واضحين. الا انها مع هذا تمكنت من تعبئة المثقفين المهاجرين والوطنيين الاكراد على اختلاف ارائهم و مشاربهم. وتمكنت ايضا من خلال نشاطها الاجتماعي والثقافي من تسليط اضاء العلم على العقول المظلمة لعتالي الشوارع الكرد. مؤملة ان يكونوا سندا جيدا للحركة السياسية الكردية فيما بعد.

واذا كانت البداية المشجعة والحماسة هما اللتان حققنا هذا النجاح السريع فان النزاع على الزعامة سرعان ما تفجرت براكينه بين قادة الحركة: البدرخانيون من جهة والشيخ عبدالقادر وقبيلته من جهة اخرى فهبت اعاصير المنافسات القديمة من جديد و تهاجم الزعماء الاقطاعيون متهمين بعضهم بعضا بالخيانة. فما كان من (الشيخ عبدالقادر) الا ان يادر الى اصدار جريدة جديدة باسم (هتاوكورد - شمس الكرد) ان هذا الانقسام اضعف الحركة بشكل ملحوظ.

بينما كانت استنبول تشهد نشاطا كرديا ذا اهمية كبيرة بدات كردستان نفسها تستيقظ على الحياة السياسية العصرية فاقام مناضلون ومثقفون كرد نواد كردية في المراكز الرئيسية من مدن مثل بدليس وديار بكر و موش وارضروم والموصل واخذت تقوم بنشاط فعال و على سبيل المثال اقام (نادي موش) علاقات مع العشائر المهمة في الولاية. وعندما افتتح نادي بدليس في نهاية العام ١٩٠٨ كان اعضاء النادي لا يتجاوزون السبعائة وفي غضون اشهر قليلة وقبل ان تغلقه السلطة قفز عدد المنتمين الى عدة آلاف (٢)».

خلافة عبدالسلام

في هذه الفترة المملأء بالزوابع السياسية المتميزة بيقظة الوعي القومي والسياسي

٢- شعب بلاوطن (الصف ٣٤ و ٣٥) عن الترجمة الانكليزية بقلم ميكابيل باليس

لدى الشعوب الرازحة تحت نيرالحكم العثماني ومنها الشعب الكردي - استخلف الشيخ عبدالسلام الثانى اباه وهو شاب لم يتعد الثامنة والعشرين. كانت الفترة الاولى من مشيخته فترة هدوء واستقرار نسبي. لقد راقب وعاش وهو فتى يافع اخطر التطورات فى المشيخة ورافق الصراع الحاسم - صراع الحياة والموت بين المشيخة والسلطة الاقطاعية ولم تتح له الظروف القاسية لتلقى العلم بصورة منتظمة والالمام الكافى باطرافه وباكمال تحصيله فى مراكز العلم المعروفة آنذاك حسبما درجت عليه اسرة الشيخ وكان والده مصدر المعرفة والعلم الوحيد له.

مضت فترة غير قصيرة (١٩٠٢ - ١٩٠٧) عاش فيها الخلف الجديد تقريبا فى ظل وبفضل منجزات والده. وأرتكز على الرصيد من العب الذى زرعه والده فى قلوب انصاره والاحترام الذى انتزعه من خصومه قبل ان تتكامل شخصيته ليبرز لاعبا ماهرا فى ميدان التعامل القبلى ووطنيا جليل القدر فى حلبة السياسة والجهاد القومى ثم شهيدا وطنيا خالدا ماتزال ذكراه عالقة بالاذهان مقرونة بالاعجاب.

وضع والده بين يديه فضلا عن السمعة والصبية ثروة لاتقدر من مجموعة اعوان مخلصين طحتهم المعارك وصقلتهم التجارب فكانوا خير من يعتمدون فى الملمات. ومال فى مطلع شبابه الى طائفة (الديوانه) من الصوفيين وظل مقيما على ميله هذا حين غدا شيخا فقد اشتد فيه و تاصل. ولم يحاول استبدال الاعوان الذين اثبتهم والده فى مراكزهم مع ان عهده اقترن بظهور شخصيات قيادية كفؤة شابة (٣).

لما اخذت الحركات السرية الكردية تنشط من عقالها اتسعت رقعة تحركها خلال فترة قصيرة جدا لتشمل منطقة بهدينان وكان الشيخ عبدالسلام من اولى الشخصيات التى عمل المثقفون الكرد على الاتصال بها نظرا للسمعة التى حازتها مشيخة بارزان فى ايام والده. ووصول انباء المعارك الناجحة التى كان قد شنها على الاغوات المحليين عملاء السلطة للحد من سلطانهم. وكذلك بسبب التغييرات التى احدثها ارشاده فى المجتمع المحلى وهو كله لا يخلو من طابع الوطنية والحرص على مصلحة الجماهير الكردية والاهتمام بمصائرها وواقع حياتها. وكان من الطبيعى ان تتناقل الافواه انباء هذه الانجازات فتبلغ اسماع اولئك الشباب الطلائعى الذين اتخذوا العاصمة العثمانية مركزا لبث مفاهيمهم فى الوعى القومى الكردي بصحفهم وجمعياتهم.

لقد ادركت الجمعيات الكردية الوطنية سريها و علنيها من سلسلة المعارك التى

٣- ابنتى عبدالسلام بزوجين الاولى واسمها (سعاد) عقراوية الاصل نشأت فى الموصل وكانت تتكلم العربية تزوجها قبل وفاة ابيه. والثانية تزوجها بعد ان تولى المشيخة واسمها (سمياء) وهى ابنة الحاج عبدالعزيز اغا من رؤساء بلدة العمادية ووجهاتها.

خاضتها المشيخة الفتية ومن طبيعة واتجاهات العدو الذي تنازله والانتصارات التي حازتها ان الشيخ البارزاني يملك الى جانب العقيدة والمبدء قوة ضاربة اطوع له من البنان وهذا عامل جوهري لا يمكن اغفاله عند حساب احتمالات نجاح اية حركة وطنية - اذن فجزء هذا الشيخ الى ساحة الجهاد الوطني سيكون غنما عظيما.

اخذت بعد هذا تتسرب الى بهدينان و بارزان طائفة من الصحف والبيانات والمناشير من الجمعيات الكردية كجمعية (تعالى وترقى كرد) و (استقلال كرد) المار ذكرهما و جمعية (هيفى) و جمعيات سرية اخرى «.. كانت هذه المناشير ترسل الى تكية بارزان خصيصا (٤)»... «وكان الشيخ عبدالسلام من جانبه يتابع باهتمام تنامي الوعي القومي فى صفوف المثقفين الاكراد و يحاول اقناع و جهاء بهدينان بوجهة نظره الاصلاحية وجرهم الى التعاون فكان ينجح فى ذلك تارة ويفشل فى اخرى... فالشيخ بهاء الدين النقشبندى صاحب تكية بامرني لم يكن يساعده فى موقفه على المشاركة فى هذه الحركة وهو ليس صاحب عصبية قومية ولا يرى ثم فائدة فى زج هذه العشائر فى حركة لا تعرف نتائجها. كما انه من الرجال الداعين للسلم. لذا كان موقفه من البارزانيين غير صريح وواضح. اما الشيخ نور محمد القادري الدهوكى فكان موقفه مشجع وهو الرجل الجريء الذى خبر السياسة وكان يشعر بفساد الحكم و ينقم على الدولة ويريد الاصلاح (٥)» ووجد الشيخ لنفسه حليفا قويا من المار شمعون بنيامين جاثليق الكنيسة الشرقية الاثورية الذى كان يجمع السلطتين الزمنية والروحية لجميع الاثوريين القاطنين حكارى و بهدينان بحكم منصبه.

مما لاشك فيه ان شيخ بارزان اظهر فى حينه تجاوبا مع تلك الجمعيات الكردية وأيد برامجها الاصلاحية لاسيما بعد ان قلب (الاتحاديون) ظهر المجن وظهروا على حقيقتهم بتعصبهم القومي الذى بدا بأقبح وجه من وجوه الشوفينية والتمييز العنصرى. ليسوا دعاة اصلاح ولا ينادون بالعدالة بين الشعوب التى تحكمها الدولة العثمانية بل دعاة صهر واذابة حل طغيانهم محل طغيان السلطان و اخذوا يتركلون بالائتلافيين دعاة المساواة الاتراك. و يقيمون المذابح العنصرية لاسيما مذابح الارمن والمسيحيين التى هزت مشاعر العالم المتمدن لقد ادرك الشيخ عبدالسلام ان خطر النظام التركى الجديد على مشيخته هو اكبر من خطر الاقطاعيين والاغوات وان البنيان الروحي الذى شاده اسلافه. واضحى وديعة فى يديه مهدد الآن بريح التعصب القومي فضلا عن الاقطاعيين المتربصين وانه لا قبل له بمنازلة هذين الخصمين الحليفيين معا وفى وقت واحد بمفرده وانه من الضروري ان يوسع

٤- امارة بهدينان الص ٩٤-٩٥

٥- مقالة (العائلة البارزانية) بقلم (ف. نيكتين) وترجمة الدكتور كاوس قفطان) منشورة فى مجلة (شمس كردستان عدد ٥)

دائرة تحالفه. لذلك تعدت نظرة الشيخ البارزاني منطقته لتشمل افاقا اوسع فاخذ ينتقل من مكان الى اخر مباشرة باراته. واكثر من زيارته للرؤساء والزعماء جيرانه مؤكدا على ضرورة الاتحاد والتكاتف «... وبذلك استطاع ان ينال احترام جميع الفرق والطوائف الدينية لشخصه وروحانيته(٦)».

الفصل الثاني والعشرون

بروز شخصية الشيخ عبدالسلام

ان فترة الهدؤ التي سادت سنوات ولاية عبدالسلام الاولى ساعدته على ان ينصرف بشكل خاص الى شوؤن الناس وسماع شكاواهم والتعرف على حاجاتهم والعمل على ازالتهما والتخفيف منها وقد ادرك التأثير المدمر للجهل و ضرورة تيسير تلقى العلم والمعرفة للناس. ويغلب على الظن أن شعورا بالحسرة والالام ظلا يلازمان الشيخ طوال حياته لان الظروف لم تتح له اكمال تحصيله العلمى لذلك وجدناه يحاول التعويض عن هذا القصور بملازمة العلماء والسماع منهم وتقديره لهم والرغبة الشديدة فى نشر المعرفة والثقافة بين ابناء عشيرته. فقد استقدم الى تكيته العالم المعروف (ملا احمد ابن عبدالخالق العقراوى) وخصص له راتبا. كما استقدم عددا من العلماء للتدريس فى بارزان. ويؤكد (ف. نكيتين) ان الشيخ كان يدعو الشعب الى التضامن والوحدة وكان يردد دائما - اتحدوا وتضامنوا فيما بينكم وعند ذلك لن يستطيع احد قهركم». ثم يستتلى «.... وزع الشيخ اوقاته على ثلاثة اغراض - الارشاد والتدريس - وقضاء حاجات الناس - ثم حل النزاعات القبلية وفض مشاكلها (١)».

وقد كان هذا شغله الشاغل منذ العام ١٩٠٢ حتى ١٩٠٧ وفى غضون هذه الفترة كان نفوذه يتعاظم وتتسع رقعة مشيخته ولم يكن هذا بالذى يروق الاغوات المندحرين امام والده الذين دفعوا الى اطراف عقرة «...ان اغوات الزيبار الذين كانوا يحكمون الزيبار حكما اقطاعيا لم يرق لهم توسع نفوذ الشيوخ البارزانيين وانضواء كثير من العشائر تحت لوائهم والانخراط فى سلك طريقتهم النقشبندية فاخذوا يقاومونهم ويعملون على الحد من نفوذهم. خلق الشيخ هذه المنزلة لنفسه بحسن تطبيقه قواعد العدل على الجميع واهتم باوضاع شعبه و تعاطف مع مشاعره واختط لنفسه سنة فى ايام العيد حيث كان يشتري ملبوسات لايتام القرية ويجمعهم ثم يحادثهم و يكسوهم وهو عمل لم تكن له سابقة فى مشيخات كردستان. وقد عرف عنه مواساته الفقراء والمنكوبين كما حرص على تفقد احوال الاسر التي فقدت معييلها ومن الاقوال التي اثرت انه كان يوجهها لهم قوله مثلا (ارجوان لاتشعروا بالوحدة او

١- المصدر السالف

٢- عبدالمنعم الفلامى (الضحايا الثلاث) ص ١٣

الخوف مما يخبئه الغد لكم لقد مات ابوكم و بودى ان تعتبروني فى مكانه) وكان يعزز قوله هذا بالعمل ونذكر على سبيل المثال ان احدهم توفى مخلقا اطفالا فما كان منه الا ان منحهم حصته من مطحنه وجعل كل ربحها لاعاشتهم بعد ان يستخرج الطحان حصته وظل يتابع احوال هؤلاء الايتام وحين شعر بحاجتهم الى (بقرة) اعطاهم واحدة وبلغ من شدة حرصه على امورهم انه امر بان يباع ثور نطاح شמוש كانت تملكه الاسرة ويشتري بثمنه ما هو افضل منه متبرعا بفرق السعر وكان يامر اتباعه ومريديه بان يحتطبوا لهم. وقصده ذات يوم (ملا عمر البيره كه پرى) يشكوله ضيق ذات اليد وصعوبة الحصول على مايكفى لاملأ بطون افراد عائلته التسعة ورجامن الشيخ ان يسمح له بالنزوح الى احدى قرى السهل لعل كرتبه تنفرج و وضعه يتحسن فلم يسمح له الشيخ بالنزوح وامر وكيله بتزويده بمقدار كاف من مختلف البذور ثم طلب منه مراجعته فى كل حاجة تعن له ولم ينس ان يدفع عنه اجرة عبوره عبر نهر الزاب الى (بيره كه پره).

واهتم الشيخ عبدالسلام بامور عصرية لم تكن تعتبر فى ذلك الحين من الضرورات او من مقومات الشخصية وهى بعيدة كل البعد عن صفته الروحية وزعامته الدينية منها تشجيعه رياضة الفروسية وحث اتباعه على تعلم السباحة والتمرن على اصابة الهدف بالبندقية. واكد على ضرورة الجسم السليم واهمية صحة الانسان مثلما كان حريصا على سلامة احكامه وموافقتها للشرع بالاستعانة بالعلماء البارزين عند حسمه المشاكل والدعاوى. تمسك بمبادئ العدل بادئا بنفسه عند ما اشرف على تقسيم ميراث والده بين اعضاء أسرته البارزانية فجنبها مشاعر الريبة المتبادلة التى تنشأ بين اسرة كبيرة فيها ضرات وابناء ضرات عديدون ولم يدع للاحاساس بالغبن بان يتسلل الى نفس اى واحد من الاسرة

الفصل الثالث والعشرون

الصراعات مع الجيران

عود الى اغوات الزيبار

انتعشت آمال الاغوات بعد وفاة الشيخ محمد (١٩٠٢) وخيل لهم ان مهمتهم ستكون اسهل مع خلفه في اعادة سيطرتهم على القرى التي ازيحوا عنها وقدم بنا ان الاسر الاقطاعية في الزيبار كانت متنافسة فيما بينها ايضا و ان آل مصطفى اغا في ايام (حسن اغا) و (محمد اغا) قد انحازوا الى جانب شيخ بارزان ضد اسرة (تترخان) الذين يفوقونهم قوة و نفوذا. و بتعاونهم مع شيخ بارزان تمكنوا من اضعاف منافسيهم الى حد طرد هم من بعض القرى والحد من سلطنتهم الى درجة كبيرة. وظل آل مصطفى اغا على علاقات حسنة ببارزان طوال فترة الهدوء التي استمرت حتى العام ١٩٠٨ بل واكثر من هذا فقد قدم (محمود اغا الزيبارى) الى بارزان طالبا التوبة والهداية على يد الشيخ عبد السلام و خدم لديه فترة من الزمن.

لم يكن الشيخ منغلقا على نفسه قط لافى تعامله مع الرؤساء والزعماء الكرد ولا مع الادارة العثمانية المحلية فقد كان ينشد السلام والاستقرار مدركا ان الحروب القبلية لا تجر الا الى الدمار والخراب الا انه اضطر كما سنرى الى ركوب اشد مايكره وخوض معارك فرضت عليه فرضا لم ينل من ورائها غير التشريد. وقضى حياة عاصفة تالبت عليه فيها اعداؤه وراح في النهاية وهو شاب ضحية ايمانه بعدالة قضيته.

مع شيخ نهري

يذكر (ف. نيكيئين) ان الجفاء الذي ساد علاقات نهري ببارزان في السابق بقي كما هو «... كان الشيخ محمد صديق النهري من جيرانه (الضمير يعود الى الشيخ عبد السلام) و قد غمره السرور عند ما توفي والد الشيخ. وكان يراقب الشيخ الجديد عن كثب ويحس ببروزه واتساع نفوذه ويحسده على ذلك. وحاول عدة مرات ان يكيد له الا انه لم ينجح في مسعاه و مات و لم تتحقق رغبته هذه (١) ... وخلف السيد طه الثانى والده الشيخ محمد

١- الفقرة وما بعدها (العائلة البارزانية) من مجلة شمس كردستان (العدد ٥) ص ١٩.

صديق وكان الشيخ عبدالسلام من الذكاء وصفاء النية بحيث استغل الفرصة فارسل الرسل لتعزية السيد طه و محاولة افهامه ان جديهما كانا صديقين و على وفاق وان والديهما هكذا كانا ايضا وانه من الخير نسيان الماضي بما فيه من ضغائن واحقاد لتحل محله الصداقة والسلم (٢) «وكان السيد طه من الذكاء بحيث وافق على ذلك» وهكذا عاد تاريخ العلاقات النهرية - البارزانية الى مجراه السابق بعد طول انقطاع تخللته احداث دامية.

الروابط مع مشيخة بجيل

لاشك ان الشيخ عبدالسلام كان يرغب في تحسين روابطه مع مشيخة بجيل الا انه بقيت راکدة مثقلة بالضغائن والاحقاد وظلت تلك المشيخة منغلقة على نفسها لاتحاول تغيير موقفها العدائي من بارزان في حين ظهرت بوادر طيبة تبشر بعلاقات طيبة بين الشيخ و بين رؤساء العمادية ووجهاء بهدينان.

يروى السليبي عن قدوم الشيخ عبد السلام الى العمادية في العام ١٩٥٤ فقول «الاخبار تدور حول مجيء الشيخ عبد السلام البارزاني بقوة عظيمة الى العمادية ليحتلها ويقيم فيها حكومة كردية ويقتل موظفي الحكومة و يقضى على البيت الفلاني والفلاني و يخرب تكية بامرني و يستولي على دهبك و زاخو و يفعل كذا و كذا. والناس صنفان: صنف يتمنى مجيئه بفارغ الصبر وهم بيت حاجي عبدالعزيز اغا و من هم على اتفاق معهم واخرون يرتعدون خوفاً و فرقا وهم بيت المفتي و بيت المدرس و حاجي شعبان اغا و هؤلاء على اتفاق مع مشايخ بامرني. كنت بصفتي قائمقاماً (بالوكالة) ارفع التقارير الى الولاية عن هذه الحوادث. والاجوبة التي اتلقاها (عن تلك التقارير) لم تخرج عن ملاحظة الموقف بدقة و رفع ما يستجد من الاخبار دون تاخير.... واخيرا تحقق الخبر و حضر الشيخ عبد السلام في ٢٢ كانون الاول ١٣٢٣ هـ مع قوة تبلغ خمسمائة مسلح من الزباريين والمزوريين والشيرانيين يقودهم (فقي عبدالرحمن). ونزل ضيفا على صهره (الحاج عبد العزيز اغا العمادي) و سارع اغوات العمادية المواليون للشيخ عبدالسلام و غيرالمواليين الى اخذ اعوانه ضيوفا الى بيوتهم. ولم يظهر ما يعكر صفو الأمن. وكان الشيخ بهاء الدين قد حضر العمادية بناء على دعوة سبقت له من الشيخ عبد السلام و قد اجتمع به نحو من ساعتين على انفراد ولم يعلم مادار من الحديث بينهما الا ان الذي علمته ان الشيخ عبد السلام تلقاه بحفاوة واحترام وقبل

٢- لم يكونا في الواقع على وفاق كما يتبين من الفصول السالفة.

يده و قد قابله (بهاء الدين) بالمثل و تلك عادة جارية» (٤٤)

لم يكن قد مضى على وفاة الشيخ محمد سوى عامين حين بدأت الاوضاع تتردى في منحدر خطر حيث اتخذت تتركز الدعايات بشكل مكثف حول نوايا الشيخ عبدالسلام و خاصة بعد زواجه من ابنة الحاج عبدالعزيزاغا في العام (١٩٠٣) و كثرة تردده الى بهدينان والعمادية. يقول الدمولوجي مستطرداً «... طلبت مقابلته (يقصد عبدالسلام) فاجاب وحدلى موعداً بعد صلاة العشاء من تلك الليلة فذهبت اليه بمفردي وانا اشق صفوف الذين تجمعوا حول القصر الذي اقام فيه ودخلت عليه ولم يكن احد لديه سوى كاتبه (ملا احمد ابن ملا عبدالجليل) (٤) و خادم واقف بالباب فتلقاني ببشاشة واجلسني بجانبه وقد ظهر لي منه انه كان يرغب في مقابلتي بقدر رغبتى فيها ليجاهر باخلاصه للحكومة و يعرف مني شيئاً عن وجهة نظرها بحقه و صورة تلقيها حركته. كان في الاربعين (٥) من العمر اسمر اللون وسيم الصورة في عينه اليمنى قليل من العوار (الماء الابيض) (٦) و يلبس عمامة متوسطة الحجم وجبة من الجوخ الاسود فوقها عباءة وهو الى زى العلماء اقرب منه الى زى الصوفية. بعد ان علم اني احسن التكلم بالكردي انبسط كثيراً. كان يتكلم بهدوء والحديث الذي لا يستوعبه يعيده ثانية وثالثة ليفهمه جيداً انه يريد ان يفهم كل شيء وهو ذكي للغاية حاد الذهن سريع الانتقال وليس فيه ما يعاب سوى انه غير متعلم و كان يظهر لي اسفه على حرمانه من العلم و ان اباه وجده من العلماء... سالت الشيخ -

- ماذا تريد الحكومة منكم بعد ان تخلصوا لها؟

قال - نخلص لها ولا تؤمن باخلاصنا و تعدنا خارجين عليها. وغيرنا لا يخلصون و

تعدهم مخلصين

قلت له - كان عليكم ان تتفاهموا معها وتزيلوا ما علق بذهنها بحقكم

قال - ان الطريق مسدودة امامنا وليس لنا من يدافع عنا واذا تبرع احد للدفاع عنا فانه لا يدافع لوجه الله وكلهم اصحاب غايات و مصالح و ليس لدينا قرى نعطيهما لوجوه الموصل كما يفعله خصومنا (كان المقصود فعلاً اغوات الزيبار). انهم اندحروا في ميدان الحرب ولم يبق لهم القوة التي يحاربون بها فاخذوا يحاربوننا بواسطة الحكومة وينادون بالشكوى علينا و يملأون الدنيا عجيماً ويسيتون الى سمعتنا فصارت الحكومة تعتقد فينا عصاة معتدين اخرجنا اناساً امنين من ديارهم ولم تفكر باننا انقذنا امة مقهورة مضطهدة من ايدي اناس جبارين واعطيناها حريتها ولو كانت الحكومة على (شيء من)

٣- امارة بهدينان ص ٨٩ و ٩٠

٤- الصحيح هو (ملا احمد ابن عبدالخالق (لعقراوى)

٥- كان في الثلاثين من العمر

٦- يذكر (ويگرام) انه كان يشكو من التراخوما المزمنة.

القوة وقامت بنفسها بانقاذ هذه الامة لانقطعتنا الى اعمالنا وعشنا فى امن و سلام. اننا رفعنا شكوانا كثيرا الى الحكومة فلم تلق الينا باذن صاغية. جاهرنا باخلاصنا لها فلم تؤمن بنا. اننا لم نفعل اكثر مما يقتضيه الواجب الدينى من دفع الظلم عن امة مضطهدة وتخليصها من الرق»

" اننا نريد ان يجرى بحقنا تحقيق عادل وليستمع الى شكاوينا وليقم بالتحقيق رجال عسكريون. والتحقيق الذى يجريه الموظفون (المدنيون) لاترضى به فهؤلاء اعداء لنا لانثق بهم. وانى مستعد لان احضر الموصل بعد ان يعطينى الوالى والقومندان (القائد العسكري) التامينات على حياتى وشرفى وليحضر اغوات الزيبار وغيرهم ممن يدعون الخصومة علينا ولتجر محاكمتنا وهناك تتحقق الاكاذيب التى يلصقونها بنا. ونحن لانريد الا الحق».

سالتة - ولكن كيف اعلل مجيئك بهذه القوة الى العمادية وما هو الغرض منها؟ قال - ان مجيئى الى العمادية هو لزيارة صهرى (الحاج عبدالعزيز اغا) ثم التعرف الى الشيخ بهاء الدين النقشبندى الذى تربطنا وياه رابطة الطريقة وبقية زعماء العمادية. الا انهم لم يحضروا. لكن كان فى حضور الشيخ بهاء الدين الكفاية. ثم لما كان لى خصوم كثيرين ولايمكننى الذهاب خارج الزيبار دون هذه القوة فقد اتيت بها معى ولم اجيء محاربا بل مسالما لزيارة اخوانى» (٧)

ان الاحداث اللاحقة تثبت بشكل قاطع بان ما صرح به الشيخ لقائم مقام العمادية هو الصحيح وطبق مازعمه الا ان الاوساط الحاكمة لم تصدق ولم تجد فيه اى مبادرة ايجابية.

الفصل الرابع والعشرون

نهاية فترة الهدوء والاستقرار

جفاء مع الحكومة و موامرات الاغوات

تحول الاغوات المندحرون في ساحة القتال الى سلاح المال لمقارعة شيخ بارزان او بكلمة اخرى نقلوا ساحة النزاع الى اروقة وقاعات الدوائر الحكومية بالتقرب الى موظفيها بالرشاوى والهدايا والزلفى. واخذوا يلفقون التهم ويضمنونها شكوى رسمية حافلة بالتهويل وبالمبالغة حول قيام مشيخة بارزان واشتداد شوكتها والضرر الكبير الذى سيحقيق بامن الدولة من جراء النزاع المسلح المحلى الذى لن ينتهى مادامت لمشيخة بارزان ومرشدها الشيخ عبد السلام البارزانى الكلمة العليا والنفوذ الاوحد فى المنطقة ولـ (ويكرام) فى هذا الصدد تعليق طريف قال «كان الشيخ (عبد السلام) حتى العام ١٩٥٩ فى حرب معلنة مع الحكومة ولم يكن هو المعلوم فى هذه الحرب. والمذنبون الحقيقيون الاساسيون هم (ص. باشا (١) و بعض رجال العصاة المتفسخة الذين كانوا يتولون الادارة فى الموصل. فهؤلاء طمعوا فى بعض القرى التى تقع ضمن نفوذ الشيخ وابى هو ان يتخلى عنها» (٢)

اجل اصبح الشيخ عائقا حقيقيا امام جشع ملاكى الموصل الاقوياء الذين كان طمعهم بالاراضى الزراعية يدفعهم حتى الى التامر على ارواح الناس وحرىاتهم. ثم ان جولات الشيخ فى بهدينان والبرقية التى ارسلها الى استنبول العثمانية موجهة فيها انظار الحكومة الى وجوب الاهتمام باوضاع المنطقة والاهتمام بالمواصلات والتعليم واصلاح الادارة. ثم علاقاته مع (السيد طه النهري) و شكوك الحكومة العثمانية حول اشاعات قيامه باتصالات سرية مع روسيا القيصرية لايجاد نوع من التحالف ضد تركيا. كل ذلك ادى الى اعتباره من الخارجيين عن طاعة الدولة العثمانية. ولم يكن الشيخ عبد السلام

١- يقصد به (محمد باشا الصابونجي) احد كبار الملاكين الموصليين واصحاب النفوذ وعضو المجلس البلدى
٢- مهد البشرية ص ١٣١ ويضيف المؤلف فى الهامش (حاول الشيخ البارزانى ان يشتري السلام من كل قلبه لكن اعداءه الظامعين به اثاروا عليه حتى الراى العام المحلى بل انهم قبلوا منه مبالغ كبيرة من المال دفعها لرد اذاهم ثم استمروا فى مكائدهم ضده مع هذا.

بالغافل عما يحاك له في الخفاء. لذا حاول ضمان اكبر دعم من الاصدقاء واصحاب النفوذ. وقد روى للمؤلف احد مرافقيه المدعو (مين ملاعبيد) أن قام بعدة جولات في مناطق بهديتان. وفي احد جولاته زار صهره (حاج عبدالعزيز اغا) في العمادية ثم زار (سيدانقا) وحل ومرافقوه ضيوفا على كبير القرية وفي اليوم التالي غادرها الى قرية قريبة من دهوك ثم ذهب الى دهوك نفسها وحل ضيفا على (الشيخ نور محمد القادري) ومكث عنده ليلتين. ثم غادرها الى قرية (بيسفيكي) ومنها الى قرية السيد (عبدى خزال) وشاهد هناك بعض العاب الفروسية و سباق الرمي على الهدف الذي اقيم تكريماً له ثم غادرها الى (به رروژوك) ثم الى (بامرني) لزيارة شيخها ثم عاد الى العمادية ومنها الى بارزان. وقام في زمن لاحق بجولة واسعة امتدت الى ديارالعرب واجتمع بعدد من شيوخهم و ببعض رؤساء العشائر البروارية والدوسكية والمزوري ژيري. وانضم كبارهم الى موكب الشيخ وتوجهوا جميعا الى تكية الشيخ (نور محمد القادري) في (دهوك) حيث عقد اجتماع وجرت مداوات. واتفقت الكلمة على اختيار رئيس لرابطتهم و اتحدهم يمثلهم في مراجعاتهم الحكومية وينطق بلسانهم. ووقع الاختيار على (الشيخ نور محمد) فاعتذر بحالته الصحية وأشار في عين الوقت الى كفاءة الشيخ عبد السلام واهليته في تحمل هذه المسؤولية. فوقع الاختيار عليه. بعد هذا الاجتماع مباشرة قدمت المذكرة الكردية المعروفة الى الحكومة العثمانية. عن طريق والي الموصل على الارجح في العام ١٩٥٧ (٤).

وفي كتاب الضحايا الثلاث مانصه «جاءت مطالب الشيخ عبد السلام بن الشيخ محمد التي رفعها الى الحكومة ورجا فيها ادخال بعض الاصلاحات الى منطقتهم من حيث الادارة وانتشالها من وهدة الفقر والتاخر العلمي والتدني الاقتصادي كتيديد لما كان ينسب اليه من عصيان وسوءنية. واعتبرت الحكومة هذه المطالب موعزا بها من قبل الجمعيات الكردية التي كانت تسعى لاقامة حكم لامركزي في البلاد الكردية وهو ما كان يسعى اليه احرارالعرب ايضا». (٥)

مضمون المذكرة

اراد الشيخ عبدالسلام ايصال نسخ من البرقية التي كل من (الشيخ عبدالقادر ابن الشيخ عبيد الله النهري) و (امين عال بدرخان) و (الفريق شريف پاشا ابن سعيد پاشا). وكان هذا خلافا لراي الموقعين على البرقية الذين ارادوها أن تكون رسمية بحتة. الا ان الشيخ عبدالسلام هكذا شاء. وكانت البرقية تتضمن المطالب الآتية

- ٣- سيرد ذكر البرقية. بتفصيل في الصحايف التالية.
- ٤- استقيننا هذه المعلومات عن جولات الشيخ من مسودات السيد صالح محمود البارزاني الذي نقلها عن لسان مرافق الشيخ عند ما كان الاخير في الموصل في العام ١٩٥٤.
- ٥- عبدالمنعم الغلامي (انظر فصل عبدالسلام البارزاني)

اولاً - جعل اللغة الرسمية في الاقضية الكردية الخمسة اللغة الكردية (الاقضية هي دهوك. زاخو. العمادية. عقرة. سنجار).
ثانياً - جعل التعليم باللغة الكردية.
ثالثاً - يعين القائمقامون و مدراء النواحي و بقية الموظفين ممن يحسنون اللغة الكردية

رابعاً - لما كان الاسلام دين الدولة الرسمي فمن مقتضى ان تجرى الاحكام بموجب الشريعة الاسلامية.

خامساً - يعين لمنصب القضاء والافتاء من اصحاب المذهب الشافعي.
سادساً - تؤخذ الضرائب من المكلفين بمقتضى ما نص عليه الشرع و يلغى ما يزيد عن ذلك او يخالفه

سابعاً - تبقى ضرائب بدلات العملة المكلفة كما هي على ان تخصص لاصلاح الطرق في الاقضية الخمسة. (٦)

مع الاسف الشديد لم نعرش على صورة اصلية لهذه البرقية التاريخية التي تعتبر نقطة تحول هامة في المشيخة البارزانية و بداية عهد صراعها المرير مع الحكومات التي تعاقبت على حكم المنطقة منذ ذلك التاريخ و حتى يومنا هذا. (٧)
هذه البرقية التي تمت صياغتها في دارالشيخ نورمحمد بدهوك والتي تضمنت مجرد دعوة سلمية الى الاصلاح و تعبير عن الحاجة القومية الى التطور والثقافة كانت تعني بالمنطق التركي مقدمة لحركة انسلاخ عن جسم الامبراطورية. فهي اذن دعوة انفصالية تستلزم استخدام القوة لقمعها.

بعد ارسال البرقية بفترة وسكوت السلطات عنها سكوتا مطبقا. تلقى الشيخ عبد السلام دعوة من قائمقام (بيره كه پره) يطلب حضوره لديه للمداولة في امر النزاعات والمشاكل المتعلقة باغوات الزيبار والسعي لفضها بمدخلة حكومية نزيهة. وقد سبقت هذه الدعوة عدة مقابلات اجراها اغوات الزيبار مع هذا القائمقام اسفرت عن توجيه الدعوة لشيخ بارزان بالحضور والقاء القبض عليه ان استجاب او قتله ان تعذر ذلك.
توجه الشيخ الي (بيره كه پره) بحماية قوة صغيرة وعبر الزاب الي مكان الاجتماع و هو خالي الذهن مما دبر له و كان الوقت خريفا. وفي طريقه وصله من احد انصاره في القرية

ع صديق الدمولوجي ص ٩٦ المرجع السالف.

٧- آبانان السيد جرجيس فتح الله المحامي انه سأل مولف امانة بهدينان في اثناء نظره في كتابه قبل طبعه عما اذا كان بالامكان العثور على النص الاصلي للبرقية في ارشيفات الوثائق الرسمية للدولة العثمانية العبادة فاجاب ان الدار التي كانت تخزن الشكاوى والاخباريات الواردة من الولايات الي العاصمة استنبول قد اتت النار عليها و على محتوياتها اثناء تواجد قوات الاحتلال فيها بعد الحرب العالمية الاولى ولم تعلم اسباب الحريق مطلقا

تحذير من عاقبة مواصلة الرحلة وقد اضحى شكه في التحذير يقينا عندما اكتشف رجاله مواقع على الطريق فيها كمائن مسلحة فبادروا الى تغيير خط سيرهم ثم انكفأوا اعلى اعقابهم. ولدى وصولهم مجرى ماء (قره بگ) وهم بعضهم بالصلاة اذ بالرصاص ينهال عليهم من كل جانب. بهذا الشكل بدأت المفاوضات التي دعا اليها القائمقام العثماني. ووجد الشيخ نفسه في مأزق. الا ان اعوانه اسرعوا فوضعه في وسطهم وستروه باجسامهم واتخذوا مواضع دفاعية واخذوا يردون على النار بالنار وكانت كفة المترصدين في البداية راجحة ولكن مال بث انصار الشيخ الا وصارت المباداة بأيديهم بعد ان اصابوا برصاصهم عددا كبيرا من المهاجمين وبخاصة عندما صرعوا (كنعان هرنى) (٨) المتعصب في ولائه للاغوات. ولما اصر قائدهم (عثمان اغا الزيبارى) على البقاء و مواصلة القتال رغم حراجه موقفه صاح به صائح من انصار الشيخ (ايها الاغا تكرم بالانسحاب قبل ان تفوتك الفرصة) فانصاع الاغاللنداء (المؤدب) ولاذ بالفراز وامر الشيخ قواته القاصدة (بيره كه پره) وراء فلول المهاجمين بان لا يمسوا القرية باذى و اشار على اعوانه بالعودة وكان رجال الشيخ الباقون المعسكرون في ضفة الزاب الشرقية قد هموا بالعبور اليه عند ما سمعوا دوى الرصاص.

هذه المكيدة كشفت النوايا التركية فزاد حذر الشيخ وزالت ثقته نهائيا بالموظفين الاتراك. وعندما تولى الفريق (محمد پاشا الداغستاني) ولاية الموصل في زمن الاتحاديين الذين سيطروا على الحكم اثر انقلاب ١٩٠٨ (اعلان المشروطية) لم يخف التوتر بل ازداد بسبب سياسة التتريك التي اتبعها هؤلاء وادرك الشيخ خطورة الخال وان لا النوايا الحسنة ولا المساعي المخلصة ستوقف الامور عند حد اى قبل ان توؤل الى المواجهة المسلحة.

٨ كان (كنعان هه رنى) قد ثبت في خندقه خندقه اثناء المعركة و فشلت جميع المحاولات لاقتلعه من مكانه اوالقضاء عليه. وهنا اقترح (ملا ملا محمود) على عدد من رفاقه الهاء (كنعان) برشقات متواصلة من الرصاص حتى لا يتحرك من مكانه ريشما يتسنى لملا ملا محمود الاقتراب منه لقتله. وتم ذلك فعلا حيث كمن له في مكان قريب جدا من الخندق فاتيح قنصه بسهولة و ذلك حينما رفع راسه قليلا فنالتته في جبينه رصاصة (ملا ملا محمود) وأردته قتيلًا.